الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع: .....

الغيب في شعر أبي ذؤيب
-دراسة أسطورية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
* فنغور أمينة دعاء
*فنور دلال

إشراف الأستاذ :
د.بشير عروس

السنة الجامعية: 2021/2020

مقدمة

الحمد لله الذّي علّم القرآن وجعل كتابه شفاء لما في الصّدور، والصّلاة والسّلام على أشرف العرب وخاتم المرسلين، سيّدنا محمّد العربيّ الأمين، الذّي أخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم البعث والنّشور، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

يندفع الإنسان لمعرفة الغيب بتحفيز من محرّك الرّغبة في معرفة المجهول والخوض فيه، إنّه ذلك الفضول الملحّ حول أسرار الوجود وخبايا الحياة، وما يخفيه عنه حاجز الموت، وعن مصير الإنسان بعد الفناء وهلمّ جرّا، فمن غريزة الإنسان الطّبيعية أن تؤرّقه مثل هذه المشكلات التي يتساءل عنها منذ بداياته الأولى إلى غاية يومنا هذا، لم يتوقّف عقله عن التّفكير فيما يغيب عنه، وعن تحليله وتفسيره ونسج كلّ ما ينقذه من الغرق في بحر التأمّل الكبير المظلم، فلا يجد لذلك سبيلا إلّا من خلال طرز لباس الأساطير والخرافات، ومحاكاة الطّبيعة وابتكار طقوس محدّدة ومراقبة الحيوانات وغيرها، كما يشغل باله مشكلة وجود قوّة أكبر منه، تتحكّم في حياته وفي بقيّة الكائنات أم أنّ الكون والحياة موجودان عبثا؟، ولا هدف يرجى من هذا المسلسل الذي يبدأ من ولادته وتنتهي آخر حلقاته بموته المحتّم مرورا بحلقات من الطوطميّة والآلهة والأصنام والتّنجيم والسّحر وغيرها، كما وجد الإنسان في فنونه من نقش ورسم وشعر ملاذا له، ووعاء يفرغ فيه عصير أفكاره، وما استنتجه من بحوثه المتواصلة عن خبايا الحياة والموت، ليحفظه فيها من جهة، ولكي يجعل منها مؤثّرا في غيره وطقسا له يستنير به من جهة أخرى وهذا ما نلحظه أكثر في المجتمعات العربيّة الجاهليّة خاصّة، ومن هنا نتساءل: – ماهو الغيب بالنّسبة للإنسان العربيّ الجاهليّ ؟، –وكيف تجلّى في شعر أبي ذؤيب الهذلي في الجاهليّة؟، _وكيف تصوّره الجاهليّون عامّة وأبو ذؤيب خاصّة؟.

ولهذا كان اختيارنا لهذا الموضوع، لأهميّته وقيمته الإنسانيّة قبل كل شيء، ثمّ قيمته العلميّة وما يحوم حوله من غموض وتشويق في الوقت نفسه، بالإضافة إلى رغبتنا في اكتشاف عالم الغيب عند الإنسان الجاهليّ وكيف يستشرفه من خلال اتّباع "منهج أسطوري".

ومن بين الدّراسات التّي ساعدتنا على ذلك هي: دراسة الدّكتور "جواد عليّ"، والسّيد "محمود شكري الألوسي البغدادي"، والدّكتور "محمّد عجينة".

وقد حاولنا البحث في موضوع الغيب عند الجاهليّين، الذّي يعدّ موضوعا إنسانيّا حسّاسا، فلا حلول علميّة لديه ولا تنوير ديني يقف إلى جانبه في مغامرة تفكيره وبحثه، وفي محنة قلقه حول ما ينتظره ولا يعرفه، خاصّة ما يتعلّق بما وراء الموت وغيره، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة بحث موزّعة على النّحو الآتي: تمهيد وفصلين، وخاتمة، فجعلنا من الفصل الأوّل فصلا نظريّا، تضمّن معنى الغيب لغة واصطلاحا وأنواع الغيب وكيفيّة استشرافه، أمّا الفصل الثّاني فهو تطبيقي تناولنا فيه أهمّ مظاهر الغيب لدى الشّاعر الجاهلي "أبي ذؤيب الهذلي" المعروف بماديّته، وقلقه من الموت، وكيف كانت علاقة الشّاعر الجاهليّ بالغَيْب شكلا ومضمونا.

وفي الخاتمة تناولنا النّتائج التّي وُفّقنا في الحصول عليها غير أنّ صعوبات كثيرة اعترضتنا أثناء بحثنا هذا، متمثّلة خاصّة في ضيق الوقت وكثرة المعلومات وصعوبة التّنسيق بينها، وأخرى لا طائل من الحديث عنها.

وفي الأخير نتقدّم بجزيل الشّكر والتّقدير إلى أستاذنا المشرف بشير عروس على مجهوداته ونصائحه القيّمة ونسأل اللّه التّوفيق والسّداد فإنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

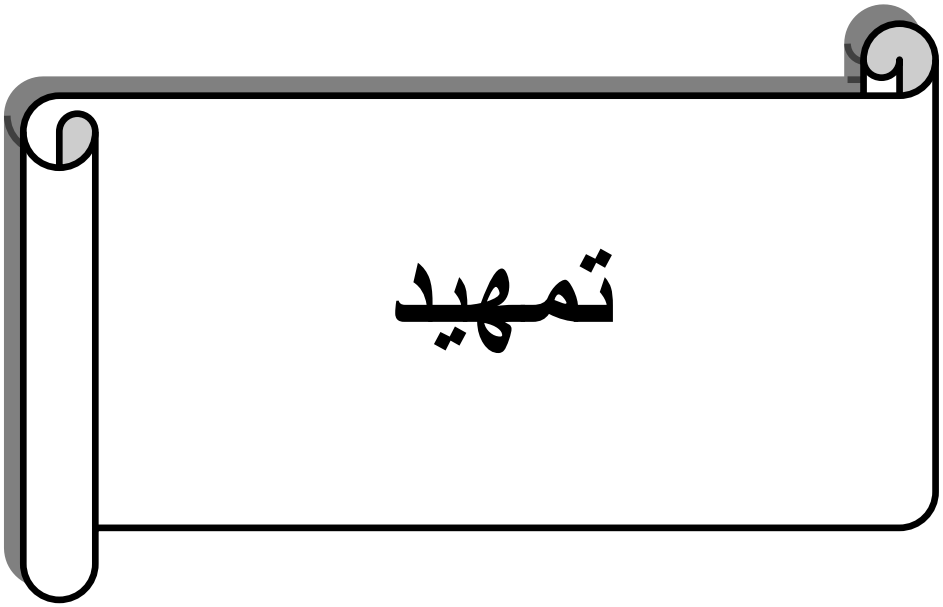
تمهيد

كان للجاهليّين ثقافات محدودة ومقيّدة، واتّصالهم بالأمم المجاورة لهم كان محدودا جدّا، بل وشبه محدود، ونظرا لأنّ جزيرة العرب شحيحة المياه كثيرة الصّحاري والجبال، فلم يشتغل أهلها بالزّراعة لجذب الأرض، والإنسان صنيعة الإقليم، فنشأ العرب على ما تقتضيه البلاد المجذبة من الارتزاق والارتحال في طلب المرعى، فغلبت البداوة على الحضارة فيهم، و انصرف أكثر همّهم إلى تربية الماشية وهي قليلة بالنّظر إلى احتياجاتهم فنشأ بينهم التّنازع عليها وجرّهم التّنازع إلى الغزو واضطرّهم الغزو إلى الانتقال بخيامهم وأنعامهم من نجع إلى نجع ومن صقع إلى صقع ليلا ونهارا. وجوّهم الصّافي وسماؤهم الواضحة فعوّلوا في الاهتداء إلى السّبل على النّجوم ومواقعها، واحتاجوا في مطاردة أعدائهم إلى استنباط الأدلّة للكشف عن مخابئهم فاستنبطوا قِيافة الأثر وألجأهم ذلك أيضا إلى اتّقاء حوادث الجوّ من المطر والأعاصير ونحوها فعنوا بالتّنبؤ بحدوث الأمطار، وهبوب الرّياح قبل حدوثها، وهو ما يعبّرون عنه بالأنواء ومهابّ الرّياح، ولجأوا إلى الكِهانة والعرافة والزّجر والطّير وخطّ الرّمل وتعبير الرّؤيا وغيرها فالعرب لم يتعلّموا هذه الأساليب في المدارس ولا قرؤوها في الصّحف ولا ألّفوا فيها الكتب، لأنّهم أميّون لا يقرؤون ولا يكتبون وإنّما هي معلومات تجمّعت في ذاكرتهم بتوالي الاجيال بالاقتباس أو الاستنباط، فاختلفت هذه الممارسات في أهدافها وغياتها في الاكتشاف أو الاستنباط من قبيلة إلى أخرى، من هذيل إلى أسد إلى قبيلة فهم وغيرهم، فتحدّث الكثير من الشّعراء الجاهليّين عن أهمّ الطّقوس والأساليب التّي استعانوا بها في اكتشاف الغيب نظرا لأنّ الغيب هو جانب روحيّ غائب عن الحواسّ والعلم يرعى الإنسان، يتدخّل في حياته. فقد شغل الغيب اهتمام شعوب الحضارات القديمة، نظرا لدوافع شخصيّة ولدوافع قبليّة تخدم الاثنين معا فاستعانوا بطرق مختلفة من التّنجيم والفراسة والقيافة و(الطّرق و الخط)، و(التّطير والفأل) والتنبؤ بتكليم الأصنام والاستخارة عن طريق الاستقسام بالأزلام، والقرعة والرّؤيا، فكلّها وسائل ابتكرها العرب الجاهليّون نظرا لذكائهم وحدّة بصيرتهم، ولكن اختلف في مصادر هذه الوسائل فمنهم من اعتبرها من صنع العرب ومنهم من رآها دخيلة كالنّجوم والكِهانة والقِيافة ومهابّ الرّياح، ولكنّها بالرّغم من ذلك تبقى الرّكائن الأساسيّة التّي

بنى عليها العرب أساسيّاتهم لإدراك الغيب مهما اختلفت القبائل واختلفت الأنواع والطّرق والممارسات فهي أمور كانت العرب عليها في الجاهليّة، وبعضها يجري مجرى الخرافات، وقد كانت قد هيمنت وسيطرت على عقليّتهم، ولاسيما تلك الأمور التّي كانت تتّصل بحياتهم كالكهانة والرّقية والتّنجيم، وغير ذلك ممّا له علاقة بحياة الإنسان.

الفصل الأول: الغيب واستشرافه عند العرب في الجاهلية.

1-تعريف الغيب

2-أنواع الغيب

3- طرائق استشراف الغيب

1_ تعريف الغَيْب:

أ_ لغة: (ورد في المعجم الوسيط: "غاب": غيْبا، وغَيْبة، وغيبوبةً، وغِيابا: خلاف شهد وحضر، يقال: غاب فلان: بَعُد، وغاب فلان عن بلاده: سافر، وغابت الشّمس وغيرها: غَرَبَت واستترت عن العين، ويقال: غاب عنه الأمر: أي خفي. و–وعيُ فلان او حسُّه، غَيبوبَةً: فقدَه. و–فلانًا، غِيبةً: ذكر من ورائه عيوبه التّي يستترها ويسوؤه ذكرها. فهو غائب.(ج) غُيَّب، وغُيَّاب.

(أغاب) القوم: دخلوا في المغيب. و– المرأة:غاب عنها زوجها. فهي مُغِيبٌ، ومُغيبة.

غَايَبَهُ: مُغَايَبةً وغيابا: خلاف خاطبه، ويقال:" أنا معكم لا أغاييكم".

(غَيَّبَهُ) وعنه: أبعده وواراه، يقال: غيَّبه غَيَابُهُ: دُفن في قبره، (الغَيَّبَانُ): ما لم تصبه الشّمس)[1].

فأصل مادّة (غيب) تدلّ على (تستّر الشّيء عن العيون، فالغيب: ما غابوه و خلاف الشّهادة، واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى: الغائب، وكلّ مكان لا يُدرى ما فيه فهو غيبٌ، وجمعه: غُيوب.)[2]

ب_ اصطلاحا:

إذاً: فالغيب ما غاب عن العين ولم يتوصّل إليه الإدراك (الحسّ) بدليل، وهو كلّ ما منع من إدراكه حاجز أو ساتر أو حائل زماني أو مكاني، فالغيب هو غِياب الأشياء والأسباب والأجوبة لما يدور حول الموجودات في بيئات مكانيّة متنوّعة على مرّ العصور والأزمنة المختلفة من ماضٍ وحاضر ومستقبل (فإدراك الغيب إنّما هو الحدس أي الظّن والتّخمين أو الرّجم بالغيب)[3].

---

[1] المعجم الوسيط، ص:667.

[2] موسوعة التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

[3] أ. م. د. سعد عبود سمار: إدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد (11)، جامعة واسط- كلية التربية.

2_ أنواع الغيب عند العرب في الجاهليّة :

برعت الشّعوب القديمة في التّواصل مع الغيبيّات، إذ (يمتاز كلّ جنس من الأجناس البشريّة بصفاته وعلومه وآثاره. والإنسان يتميّز بما أعطي من القوّة النطقيّة (كالشِّعر عند العرب في الجاهليّة) وما تبعها من العلوم الضّرورية (كالسّحر والتّنجيم والكِهانة وغيرها)، والعقل وأهليّته للنّظر والاستدلال (كالقِيافة ونحوها)، وعلمه بما أمكن واستحال (كثنائيّة الموت والحياة)، فإذا كماله إنّما هو بتعقّل المعقولات، واكتساب المجهولات بيده العاملة، وانتصاب القامة، واللّسان النّاطق، ممّا يسهّل عليه السّيطرة على هذا العالم، لقوله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَ حَمَلْنَاهُم فِي البَرِّ وَ الْبَحرِ وَ رَزَقْنَاهُم منَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضّلْناهُم عَلى كثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلاً][1]. فمحاولة معرفة الغيب عند الجاهليّين وعند باقي الأمم البدائيّة هي ظاهرة متعلّقة بالطّفولة الإنسانيّة إلى غاية اليوم، فمنذ أن شغل الإنسان بالظّواهر الكونيّة الخارقة دون خلفية علميّة، استيقظ فيه النّبل الإنساني العظيم الباعث على الرّغبة في التّواصل مع الكون واستكشاف مجاهله والوقوف على أسراره وخوافيه، وكيف راح يعمل على إبداع لغة يتحاور بها مع الكون، ويضع تفسيرات لما يغمض عليه ويطلق على الأشياء أسماء، ويؤلف لها تاريخا موضوعا ومتّسقا يجيب فيه على ما قد يخطر على باله من تساؤلات(كالأساطير والخرافات))[2]، (ولا يقلّ العرب قبل الإسلام شأنا في الاهتمام بالغيب ومحاولة إدراكه عن غيرهم من الشّعوب، حتّى أنّهم نسجوا الأساطير عنه، ورفعوا من شأن مدركيه. واستعانوا بوسائل اعتقدوا أنّها تعينهم في مهمّتهم لإدراك الغيب منها: العِيافة والاستقسام بالأزلام (القداح)، والقرعة، والرّؤيا، وغيرها كالتّنجيم أيضا والفِراسة والقِيافة و(الطّرق والخطّ) و(التطيّر والفأل)..الخ)[3]. وإذا أردنا تقسيم أنواع الغيب عند العرب في الجاهليّة، فإنّنا سنخلص إلى ثلاثة أنواع أساسيّة هي: 1/- الغيب المادّي.

2/- الغيب المعنوي.

3/-غيب الظّواهر.

---

[1] القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية: 70، ص: 289.

[2] د: كارم محمود عزيز: أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، الجيزة، ط:1، ص 5-6. (ينظر).

[3] أ.م.د.سعد عبود سمار: إدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام, ص:1.

أوّلا:الغيب المادّي:

كما أشرنا سابقا، فالغيب هو كلّ ما غاب عن العيون، وأوّل ما يلفت الانتباه فيه هو غيب الماديّات المرتبط بالزّمان والمكان والأحداث، التّي تدور في فضاء زماني أو مكاني مجهولين، أو فضاءين زماني ومكاني لا تنتمي إليهما الذّات المُدرِكة أو الرّاغبة.

أ/- الغيب المادّي الزّماني(المتعلّق بالزّمن)عند العرب في الجاهليّة:

هو غيب متعلق بزمان مجهول، قد يكون دائما وقد يكون مؤقّتا مرتبطا بما قبل اكتشاف الظّاهرة المجهولة، (فمن حيث الدّلالة على الزّمان يعني الغيب كلّ ما خفي عن علم الإنسان من أمور الماضي والحاضر والمستقبل. فالمعرفة الغيبيّة الماضية: تشمل الأنباء الماضية والوقائع السّابقة المتعلّقة بمختلف المخلوقات)[1]. والمعرفة الغيبيّة المستقبليّة: تتمثّل في استجلاب الأنباء والأخبار والوقائع القادمة قبل حدوثها، و(تستغرق المعرفة الغيبيّة مساحة الزّمن الماضي والحاضر والمستقبل، ومرادها التّكهن ومحاولة معرفة ما يخفيه زمان الماضي والحاضر وزمان المستقبل)[2]، (وممّا يسجّل نزعة النّفس الإنسانيّة نحو الغيبيّات واستكشافها تهافت النّاس جميعا ورغبتهم في معرفة المستقبل الذّي هو الغيب، وما المظاهر المنتشرة بين الشّعوب قديما وحديثا إلاّ دليل على هذا)[3]، ومن الأمثلة الغيبيّة الماديّة الزّمانية في التصوّر الجاهليّ، قول أبي ذؤيب:

فقالَ له أرى طيرًا ثقالاً تُخبّرُ بالغنيمة أو تخيفُ) [4].

فقد استدلّ في هذا البيت على الغيب الزّماني (المستقبلي) الذّي يتراوح بين وجود غنيمة (تفاؤل)، أو وجود مجهول مستقبلي مخيف (تشاؤم) من خلال اتّجاه الطّير (التطيّر).

---

[1] د: عدنان مصطفى خطاطبة: المعرفة الغيبية في الإسلام ووظائفها التربوية، المجلد 4، العدد3، 1439ه-2008م، ص: 189.

[2] د: عدنان مصطفى خطاطبة: المعرفة الغيبية في الإسلام، ص: 191.

[3] د: عدنان مصطفى خطاطبة: المعرفة الغيبية في الإسلام، ص: 191.

[4] السكّري: ديوان أبو ذؤيب الهذلي، ص: 185.

ب/- الغيب المادّي المكاني(المتعلّق بالمكان)عند العرب في الجاهلية:

يشمل الاستدلال على الأماكن المميّزة الغيبيّة كالمراقب والأودية عند الصّعاليك الفُرادى والصّعاليك القبائل (كقبيلة هذيل التّي تحترف الصّعلكة)، أو اقتفاء أثر المجهول من سارقين وأعداء، أو الاستدلال على وجود المياه في جوف الصّحراء، ومن أمثلة استشراف هذا النّوع من الغيب، (ما ذكره محمّد بن إسحاق بن يسار قال: حدّثني أبو الآكام الهذلي عن الهرماس بن صعصعة الهذلي عن أبيه أنّ أبا ذؤيب الشّاعر حدّثه قال: {بلغنا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عليل فاستشعرت حزنا وبتّ بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسي طولها حتّى إذا قرب السّحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول:

خطب أجل اناخ بالإسلامِ بين النّخيل ومعقد الآطامِ.

قبض النبيّ محمّد تذري الدّموع عليه.

فعيوننا بالتّسجام.

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعًا فنظرت إلى السّماء فلم أرَ إلّا سعد الذّابح فتفاءل ذبحًا يقع في العرب، وعلمت أنّ النّبيّ صلى اللّه عليه وسلّم قد قبض وهو ميّت فركبت ناقتي وسرت، فلمّا أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعن شيهم يعني القنفذ وقد قبض على صل يعني الحيّة فهي تلتوي عليه والشّيهم يقضمها حتّى أكلها فزجرت ذلك فقلت الشيهم شيء مهمّ والتواء الصل التواء النّاس عن الحقّ على القائم بعد رسول اللّه ثمّ أوّلت أكل الشّيهم إيّاها غلبه القائم بعده على الأمر فحثثت ناقتي حتّى إذا كنت بالغاية فزجرت الطّائر فأخبرني بوفاته ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوّذت باللّه من شرّ ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجّاج إذا أهلّوا بالإحرام})[1].

فقُلت: "مه. قالوا: قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فجئتُ إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول اللّه فأصبحت بابه مرتجا وقيل هو مسجّى وقد خلا به أهله فقلتُ:

[1] ويكيبيديا: أبو ذؤيب الهذلي.

أين النّاس فقيل: في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار قال أبو ذؤيب: "فشهدتُ الصّلاة على محمّد وشهدت دفنه ثمّ أنشد يبكي النّبيّ":

رأيت النّاس في عسلاتهم ما بين ملحود له ومضرح.

متبادرين لشرجع بأكفّهم نص الرّقاب لفقد أبيض أروح.

فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت جار الهموم يبيت غير مروح)[1].

ج/- الغيب المادّي المتعلّق بالأحداث عند العرب في الجاهليّة:

يعيش العربيّ الجاهليّ حياة التّنقل المليئة بالأحداث المجهولة التّي سيكون عرضة لها، فدائما ما يسعى إلى إيجاد أسباب وراءها، حتّى يسكت فرحه وحزنه، ومن أوجه ذلك:

_ ربط الأحداث بالدّهر:

آمن بعض الجاهليّين بفعاليّة الدّهر في حياتهم، (وهم القائلون بالدّهر (الدّهريّة) أي ببقاء الدّهر، وينسبون كلّ شيء إلى فعل الدّهر. ولهذا أضافوا إليه بعض الالفاظ التّي تشير إلى وجود هذا التأثير في الحياة فقالوا: "يدَ الدّهر"، و"ريبَ الدهر"، و"عُدْواءَ الدّهر"، و"الدّهرُ لا يبقى على حدثانه"، و"الدّهر يحصد ريبه ما يزرع "، فنسبوا إليه الفعل في الكون وفي كلّ ما فيه)[2]، (ونسبوا "الإماتة" إلى الدّهر، فقالوا: (وما يهلكنا إلا الدّهر)، أي وما يهلكنا إلّا مرور الزّمن وطول العمر، إنكارا منهم للصّانع. قال أحدهم:

فاستأثر الدّهر الغداة بهم والدّهر يرميني وما أرمي.

يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتناو وقرت في العظم.

فكان الجاهليّون يضيفون النّوازل (من موت أو هرم) إلى الدّهر، فيقولون أصابتهم قوارع الدّهر وحوادثه. فيجعلون الدّهر الذّي يفعله، فيذمّونه ويسبّونه. وقد ذكروا ذلك في أشعارهم، وكان هذا الاعتقاد راسخا في نفوس كثير منهم، وفي كثير ممّن أدرك الإسلام فأسلم (مثل أبي ذؤيب الهذلي)، فإذا أُصيبوا بمكروه نسبوا حدوثه إلى الدّهر، فسبّوه، وتعبّر لفظة(الزّمان)

[1] ويكيبيديا: أبو ذؤيب الهذلي.
[2] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 148.

عن معنى (الدّهر) كذلك. هذا زهير بن أبي سُلمى يشتكي منه في قصيدته التّي يمدح بها (هرم بن سنان). فيقول في مطلعها:

لمن الدّيار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر.

لعب الزّمان بها وغيرها بَعدي سَوافي المُورِ والقَطر.

وتجد اللّفظة في أشعار غيره من الجاهليّين والإسلاميّين تعبّر عن (غدر الزّمان) وعن (كذبه) وتلاعبه، ولفظة(الأيّام) بهذا المعنى كذلك، بل أجزاء اليوم مثل (اللّيالي) للتّعبير عن تلك الفكرة أيضا، فاللّيالي هي كالأيّام، تتبدّل وتتلوّن، كما استعملت لفظة(عَوْض) في معنى الدّهر والزّمان)[1].

_ القضاء والقدر:

كان القضاء والقدر هاجسا للإنسان الجاهليّ، ((فالقدر) و(المقدر) و(المقدور) و(الأقدار) و(القضاء)، من الألفاظ القديمة التّي كانت تؤدّي هذا المعنى الذّي نبحث فيه قبل الإسلام. واستعمال المتكلّمين (للقضاء والقدر)، وللقدريّة، لا يعني أنّ تلك الكلمات نبعت في الإسلام. بل إنّ ظهورها في هذا العهد، ونجد الإشارة إلى القدر في شعر الجاهليّين والمخضرمين بالمعنى الذّي نقصده هنا، أي شيء مقدّر مفروض على كلّ إنسان، كذلك نجد هذه العقيدة "عقيدة القدر" في شعر"زهير بن أبي سُلمى" وفي شعر غيره. هذا زهير يقول: "إنّ المنايا أمر لا مفرّ منه، ومن جاءت منيّته لابدّ أن يموت، ولو حاول الارتقاء إلى السّماوات فرارا منه". ثمّ نجده يقول:

وجدتُ المنايا خَبط عشواء من تُصِب تُمِتْه ومن تخطيء يعمر فيهرم.

فليس للإنسان دخل في عمله، وإنما كلّ شيء يقع له في حياته هو مكتوب،وليس له عمل على سلطان الحظّ.ونجد "عمرو بن كلثوم" في جملة من آمن بالقضاء والقدر، وبأنّ الموت مقدّر لنا ومقدّرون له، وذلك في قوله:

[1] د : جواد علي : المفصل (6) ، ص : 149-152.

وأَنَّا سَوف تُدْرِكُنا المنايا مقدّرةً لنا ومقدرينا)[1]

_ الحظّ :

آمن الجاهليّون بتأثيرات طاقويّة غيبيّة في حياتهم كالحظّ، (وحظّ الإنسان أي ما يصيبه في حياته، والحظّ في اللّغة: النّصيب والجدّ. والنّصيب هو: ما قدّر وقسم لك، أي حظّك، والحظّ: هو(البخت). وقيل: البخت من المعربات، قالوا: والحظّ موجود في المرزوق والمحروم، وفي القبائل، فربّما سعدت بالحظّ، وربّما حظيت بالجدّ، وهو كذلك في الشّعر وفي النّباهة.

وقد بحث علماء الكلام عن نظريّة (القسمة والنّصيب). فهي من الموضوعات التّي بحثت في الجاهليّة والإسلام. ونجد أحد الشّعراء يقول:

وليس للغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أُحاظٍ قُسِمت وجدود)[2].

_ثانيا:الغيب المعنوي:

هو الغيب المتعلّق بما لم يقع تحت الحواسّ، ولا يقع تحت المشاهدة، وهو قسمان:

أ /_ الغيب المعنوي المتعلّق بالخالق عند العرب في الجاهليّة :

ورد عن العرب القدامى إيمانهم بالخالق، (ففي تلبية الجاهليّين المنصوص عليها في كتب أهل الأخبار اعتراف واضح بوجود إله. كانوا يلبّون بقولهم: "لبّيك اللّهم لبّيك، لا شريك لك، إلاّ شريك هو لك. تملكه وما ملك"، يعنون بالشّريك "الصّنم"، يريدون أنّ الصّنم وما يملكه من الآلات والنّذور التّي كانوا يتقرّبون بها إليه كلّها ملك لله عزّ وجل، فذلك معنى قولهم: " تملكه وما ملك". فهم يقرّون بوجود الله، لكنّهم يتقرّبون إليه بالأصنام. وهذا هو الشّرك. فقولهم: (رماه الله بما يقبض عصبه) و(قمقم الله عصبه) و(لا ترك الله له هاربا ولا قاربا) و(شتّت الله شعبه) و(مسح الله فاه) و(رماه الله بالذّبحة) إلى آخر ذلك ممّا يدلّ على وجود إيمان بالله، وفي الشّعر المنسوب إلى الجاهليّين اعتقاد بوجود الله، واتّقاء منه، وتقرّب

[1] د :جواد علي: المفصل (6) ، ص: 153-156.
[2] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 160-161.

إليه. والله كما جاء في شعر "زهير بن أبي سُلمى"، عالم بكلّ شيء، وبما يظهر من الأعمال وما بطن :

فلاَ تكتمنَّ اللهَ ما في نفوسِكم ليخفى، ومهما يَكْتُمِ الله يعلمُ.

وهو عدوّ للأشقياء، وهو يثيب ويجزي المحسن على جميل إحسانه، وهو الذّي يعصم من السيّئات، وهو كريم لا يكدر نعمة، وهذا هو رأي الأعشى، إذ يقول:

ربّي كريمٌ لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا.

ومن إيمانهم بوجود خالق، قولهم: ((لا والذّي يراني ولا أراه)، و(لا والذّي كل الشّعوب تدينه))[1]، (ولهذا اتّخذ زهّادهم لهم معابد خلويّة على قمم الجبال وعلى الهضاب، والمرتفعات وابتنوا الصّروح للتعبّد فيها ومناجاة الرّب، واتّخذوا من الكهوف المنقورة في الجبال مآوي يتعبّدون فيها ويعتكفون الأيّام والشّهور والسّنين، وكانوا يدعون الله ويستسقونه، كما كانوا يؤمنون بما نسمّيه (القضاء والقدر) أو "الجبر" بتعبير أصحّ، فالخير والشّر من الله، وكلّ شيء في هذا الكون محتوم مكتوب. وما يصيب الإنسان، لابدّ أن يكون قد كتب عليه، بل نجد هذه النّظرة حتّى عند من لم يأت اسم "الله" في شعره، وقضيّة "الجبر والاختيار"، قضيّة لا نجدها عند المؤمنين بوجود إله هو الله، أو آلهة أخرى من الجاهليّين فقط بل نجدها عند غيرهم أيضا ممّن لم يكن يقرّ بعبادة (الله)، وينكر وجود الخالق، وممّن كان يعبد الأصنام أو للقوى الخفيّة، أو لا يدري أيّ شيء عن الآلهة والخلق، أو من الدّهرية، أو القائلين بالدّهر، فهؤلاء أيضا كانوا يعتقدون أنّ الإنسان، مسيّر ولا اختيار له في هذه الدّنيا، فكل شيء مكتوب عليه، والسّبب، هو ما قلته: وجود عوامل عديدة سيّرت الإنسان واستعبدته من أوضاع سياسيّة واجتماعيّة وعسكريّة واقتصاديّة ومناخيّة تحكّمت فيه، حتّى رسخ في عقل الجاهليّ، أنّ كلّ شيء في هذه الدّنيا مقدّر مكتوب.

[1] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 105-108.

_ الموت:

في كلام العرب: السّكون. يقال"مات" بمعنى"سكن". فالمراد من الموت هو سكون الجسد بعد مفارقة الرّوح له. وقد حار الجاهليّون كما حار غيرهم في تفسير ظاهرة الموت، وكيفيّة وقوعه وحدوثه، وقد اعتبره البعض حدثا طبيعيّا، يحدث للإنسان مثلما يحدث لأيّ شيء آخر في هذا الكون من التعرّض للهلاك والدّمار. واعتبره بعض آخر، مفارقة الرّوح للجسد، وهم الذّين اعتقدوا بالثّنائية وبالازدواجيّة في حياة الإنسان، أي بوجود جسد وروح، و يقال: " زهقت نفس فلان"، أي خرجت روحه، فهم يتصوّرون إذن أنّ روح الإنسان كائن مستقلّ إذا فارق الجسد مات)[1].

_البعث:

للبعث مفهوم خاصّ عند العرب القدامى، (لم يكن الجاهليّون يؤمنون بالبعث كما يتبيّن ذلك من القرآن الكريم، لقد كانوا يرون أنّ الموت نهاية، وأنّهم غير مبعوثين، وأنّ البعث بعد الموت شيء غير معقول، لذا تعجّبوا من قول النبيّ بوجود البعث والحساب. [وَقَالوا إِنْ هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين][2]، وممّن أنكر البعث على ما ذكر الإخباريّون قوم من قريش كانوا زنادقة أنكروا الآخرة والرّبوبيّة، واتّخذوا زندقتهم هذه من الحيرة. وإذا كان من هؤلاء من كان يقدّم القرابين والهدايا لأصنامه، فإنّ ذلك لا يعني، أنّه كان يفعل ذلك لترضى عنه في العالم الثّاني، بل كان يفعل ذلك لترضى عنه في هذه الحياة الدّنيا. أمّا العالم الثّاني، فهو عالم لا يهتمّ به، لأنّه لم يكن يتصوّر وجوده ولا حدوثه بعد الموت. ويتجلّى هذا الإنكار للحشر والبعث في أبيات تنسب إلى "شدّاد ابن الأسود ابن شمس بن مالك" يرثي بها قتلى قريش يوم بدرٍ، وهم الذّين قتلوا في تلك المعركة وألقوا في القليب:

أَيُوعِدُني ابنُ كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام؟.

أيعجزُ أن يردّ الموتَ عنّي وينشرني إذا بُليت عِظامي.

[1] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 121-123.
[2] القرآن الكريم: الأنعام، الآية: 29، ص: 131.

أراد الشّاعر إنكار البعث، وأن يصير الإنسان مرّة أخرى إنسانا بعد أن تتحوّل روح الإنسان إلى طير) [1].

_البليّة والحشر:

إحدى الطّقوس الغيبيّة، (فقد ذكروا أنّ قوما من الجاهليّين كانوا إذا مات أحدهم عقلوا ناقة على قبره وتركوها حتّى تبلى، وتسمّى "البليّة".

وقالوا: "البليّة كغنيّة النّاقة التّي يموت ربّها، فتشدّ عند قبره، فلا تعلف ولا تسقى حتّى تموت جوعا وعطشا أو يحفر لها وتترك فيها إلى أن تموت، لأنّهم كانوا يقولون صاحبها يحشر عليها، وكانوا يزعمون أنّ النّاس يحشرون ركبانا على البلايا ومشاة إذا لم تعكس مطاياهم عند قبورهم. وذُكر أنّهم كانوا كانوا في الجاهليّة يعقرون عند القبر بقرة أو شاة، ويسمّون العقيرة البليّة، وفي فعلهم هذا دليل على أنّهم كانوا يرون في الجاهليّة البعث والحشر بالأجساد. وهم الأقلّ. ومنهم زهير". وفي هذا المعنى يقول "جريبة بن أشيم":

يا سعدُ إمّا أهلكنّ فإنّني أوصيك أنّ أخا الوصاة أقربُ.

لا أعرفنّ أباك يحشر خلفكم تعبا يخرّ على اليدين وينكب.

واحمل أباك على بعير صالح وتقى الخطيئة انّه هو أصوب.

ولقلّ لي ممّا جمعت مطيّة في الحشر أركبها إذا قيل: اركبوا.

و أوصى رجل إبنه عند الموت بهذا:

لا تتركنّ أباك يحشر مرّة عدوا يخرّ على اليدين وينكب .

وطريقتهم في ذلك أنّ أحدهم إذا مات، بلوا ناقته، فعكسوا عنقها إلى مؤخّرتها ممّا يلي ظهرها، أو ممّا يلي كلكلها أو بطنها، ويأخذون وليّة فيشدّون وسطها، ويقلّدونها عنق النّاقة، ويتركون النّاقة في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتّى تموت، وربّما أحرقت بعد موتها، وربّما سلخت وملء جلدها ثماما.

قال شاعر في البليّة:

[1] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 123- 127.

والبلايا رؤوسها في الولايا ما نحات السّموم حرّ الخدود)[1].

(والولايا هي البراذع. وكانوا يثقبون البرذعة، فيجعلونها في عنق البليّة وهي معقولة حتّى تموت، (أمّا كلمة(جهنّم)، فيرى العلماء أنّها من الكلمات المعرّبة. ويظنّ المستشرقون أنّها من أصل عبرانيّ. ومن أسماء جهنّم على رأي علماء اللّغة "الهاوية". و"أمّ الهاوية")[2].

_الرّوح والنّفس والقول بالدّهر:

مفاهيم وجدت قبل الإسلام في العصر الجاهليّ، ("الرّوح" في تعريف علماء اللّغة ما به حياة الأنفس، والذّي يقوم به الجسد وتكون به الحياة. وذهب بعضهم إلى أنّ الرّوح والنّفس واحد، غير أنّ الرّوح مذكّر والنّفس مؤنّثة. وقال بعض آخر الرّوح هو الذّي به حياة، و النّفس هي التّي بها العقل، فإذا نام النّائم قبضت نفسه، ولم يقبض روحه، ولا يقبض الرّوح إلّا عند الموت. وقد يراد بالنّفس الدّم، وفي الحديث: ما ليس له نفس سائلة، فإنّه لا ينجس الماء إذا مات فيه. فعبّر عن الدّم بالنّفس السّائلة، وكما ورد في قول السّموأل:

تسيل على حدّ الظبات نفوسنا و ليست على غير الظبات تسيل.

وإنّما سمّى الدّم نفسا لأنّ النّفس تخرج بخروجه. ويظهر من دراسة معاني الكلمات المذكورة، أنّ لفظة (نفس) هي بمعنى الإنسان والجسد في الشّعر الجاهلي القديم، أمّا (الرّوح)، فبمعنى النّفس)[3]، (أي التنفّس واستنشاق الهواء والرّيح.

تصوّر الجاهليّون النّفس طائرا ينبسط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشا بصدح على قبره. وكانوا يزعمون أنّ هذا الطّائر يكون صغيرا، ثمّ يكبر حتّى يكون كضرب من البوم، وهو أبدا مستوحش، ويوجد في الدّيار المعطّلة ومصارع القتلى والقبور، وأنّها–أي النّفس– لم تزل عند ولد الميّت ومخلفه لتعلم ما يكون من بعده فتخبره، و زعموا أنّه إذا قتل قتيل فلم يدرك به الثّأر خرج من رأسه طائر كالبومة، وهي الهامة، والذّكر الصّدى، فيصيح على قبره "اسقوني اسقوني"، فان قتل قاتله كفّ عن صياحه)[4]، (و كان

[1] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 133-134.
[2] د : جواد علي: المفصّل (6)، ص: 135.
[3] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 136-137.
[4] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 138-139.

بعضهم يقول أنّ عضام الموتى تصير هامة وتطير. وذُكر أنّ الصّدى حشو الرّأس، ويقال لها الهامة أيضا، أو الدّماغ نفسه.

وكان من زعم بعضهم، أنّ الإنسان إذا مات أو قتل اجتمع دم الدّماغ أو أجزاء منه، فانتصب طيرا هامة، ترجع إلى رأس القبر كلّ مئة سنة.

ويرجع هذا الرّأي إلى عقيدة قديمة تعتبر الدّم مقرّا للنّفس، بل تجعل الدّم في معنى النّفس، والنّفس في معنى الدّم، وذلك للصّلة الوثيقة الكائنة بين الدّم والنّفس. ويمثّل هذا الرّأي رأي العبرانيّين أيضا في النّفس وصلتها بالدّم، ورأي غيرهم من الشّعوب)[1]، (وإلى هذه العقيدة أشير في شِعر أبي دُواد:

سلّط الموت و المنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام.

وكذلك في شِعر لبيد:

فليس النّاس بعدك في نقيرٍ و ليسوا غير أصداء وهام.

ولهذا سمّوا الدّماغ (الطّائر) لأنّهم تصوّروه على صورة طير. قال الشّاعر:

هم أنشبوا صم القنا في نحورهم وبيضاً تقيض البيض من حيث طائر.

وورد أنّ (الصّدى) ما يبقى من الميّت في قبره، وهو جثّته، وقيل: حشوة الرّأس، أي دماغ الإنسان الهامة والصّدى. وكانت العرب تقول إنّ عظام الموتى تصير هامة فتطير. وقال بعض الإخباريّين: أنّ العرب تسمّي ذلك الطّائر الذّي يخرج من هامة الميّت إذا بلي، الصّدى)[2]. وأيضا (يظهر من مخاطبات الوثنيّين للأصنام، كأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ لها روحا، وأنّها تسمع وتجيب. ومن الجائز حلول الرّوح في الجماد)[3].

_الرّجعة:

رغم عدم إيمان أغلبية الجاهليّين بها، إلّا أنّه (اعتقد قوم من العرب في الجاهليّة بالرّجعة: أي الرّجوع إلى الدّنيا بعد الموت. فيقولون أنّ الميّت يرجع إلى كرّة أخرى و يكون

[1] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 139.
[2] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 140.
[3] د : جواد علي: المفصّل (6)، ص: 141-142.

فيها حيّا، كما كان. و لعلّ هذه العقيدة هي التّي حملت بعض الجاهليّين على دفن الطّعام و ما يحتاج الإنسان في حياته إليه مع الميّت في قبره، ظنّا منهم، أنّه سيرجع ثانية إلى هذه الدّنيا. ويفهم من كتب الحديث أنّ من النّاس من سأل الرّسول عن الرّجوع إلى هذه الدّنيا، ممّا يشير إلى معرفة القوم عند ظهور الإسلام بهذا الرّأي)[1].

_المسخ:

ظاهرة عرفت قديما خاصّة بالنّسبة للأصنام، (واعتقد بعض الجاهليّين "بالمسخ" وهو تحوّل صورة إلى صورة أخرى أقبح، وتحوّل إنسان إلى صورة أخرى أقبح، أو إلى حيوان، كأن يصير الإنسان قردا، أو إلى شيء جماد. من ذلك ما يراه بعض أهل الأخبار عن "اللّات"، من أنّه كان رجلا يلت السّويق عند صخرة بالطّائف، فلمّا مات قال لهم (عمرو بن لحيّ)، أنّه لم يمت، ولكنّه دخل الصّخرة، ثمّ أمرهم بعبادتها وبنى بيتا عليها يسمّى "اللّات". وورد أنّ بعض الملائكة عصى اللّه فأُهبِط إلى الأرض في صورة رجل تزوّج "أمّ جرهم" فولدت له جرهماً، وأنّ ما تولّد بين الملك والآدميّ يقال له(العلبان). وأنّ(النّسناس) جنس من الخلق يثبّ أحدهم على رجل واحدة، أصلهم حيّ من عاد عصوا رسولهم فمُسِخوا نسناسا)[2].

_ الآلهة وصفاتها:

كانت عبادة الأصنام منتشرة عند أهل مكّة وغيرهم وكذلك القبائل، وقولهم أنّها تقرّبهم إلى اللّه (أي أنّهم اتّخذوا الأصنام واسطة وشفيعة للآلهة التّي هي أجرام سماويّة في الأصل. أو لأنّ الجاهليّين القريبين من الإسلام، كانوا قد ابتعدوا عن عبادة الكواكب ولم يعودوا يذكرونها، واختصروا عبادتها، بأن جعلوا من الثّالوث إلها واحدا، هو (اللّه). وعكفوا يتقرّبون إليه بالتقرّب إلى الأصنام والأوثان. فكان لكلّ قبيلة صنم يقرّبهم في زعمهم إلى اللّه. وكانوا يسجدون للشّمس والقمر. ولعلّهم كانوا يفعلون ذلك عند الشّروق وعند الغروب، عبر السّجود مثلا، ومنه سجود الصّلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، وسجد طأطأ رأسه. و(المسجد) هو البيت الذّي يسجد فيه، وكلّ موضع يتعبّد فيه، فهو مسجد.

[1] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 142-143.
[2] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 143-144.

_صفات الآلهة:

وهي كثيرة يتبيّن من دراستها أنّ الآلهة كالإنسان، تغضب وترضى، تحبّ وتبغض، قويّة شديدة، رؤوفة رحيمة شفيقة، إذا رضيت عن إنسان أسعدته في هذه الدّنيا، وإن غضبت عليه أهلكته، باقية خالدة خلود الدّهر. ومن النّعوت الواردة في نصوص المسند: (رحم) أي (رحيم)، فالآلهة رحيمة بعبادها، وهي (حليمة) (حلم)، سميعة (سمع)، قديمة (كلهن)، شفيقة بهم شفقة الأب بأبنائه (أب شفق)).[1]

_الثّواب والعقاب:

قد كان للثّواب والعقاب مفهوما خاصّا لدى الجاهليّين، (فالإنسان ثوابه وجزاؤه في هذه الدّنيا. والآلهة هي التّي تثيب وتعاقب. تثيب المتعبّد لها المتقرّب إليها بالنّذور، وتبارك له في نفسه وفي أهله. وتنجّيه من البلايا والأوبئة والأمراض، وترجعه سالما من الحروب، وتغدق عليه بالنّعم فهذا هو الثّواب. ثواب في الدّنيا وكفى،أمّا العقوبة ففي الدّنيا أيضا، وتكون بإنزال البلاء بمن خرجوا على أوامر الآلهة. ونجد في النّصوص توسّلات إلى الآلهة بأن تصيب من يغيّر النّصوص المدوّنة الموضوعة شواخص على القبور، ومن يتطاول على حرمة المقابر، أو يدفن غريبا فيها بغير إذن، بالعمى والعور، لتجاوزه على حرمة القبور)[2].

ب/_ الغَيْب المعنوي المتعلّق بالمخلوقات –سوى البشر–عند العرب في الجاهليّة:

آمن العرب قديما بوجود"عالم الأرواح"، كما اعتقدوا بأنّ هذه الأرواح تعيش وتسافر وتستقرّ وتتزاوج وغيرها، وأوّل ما يشدّنا في عالم الأرواح عند الجاهليّين هو:

_عالم الجنّ:

من أهمّ مكوّنات عالم الأرواح، و(الجنّ في معاجم اللّغة خلاف الإنس، مادّة "جنن" تدلّ على الخفاء، والجانّ الحيّة البيضاء أو الحيّة الصّغيرة، وكان للجنّ عند الأعراب –على ما يذكر الجاحظ– مراتب تتدرّج بحسب ما ينسبونه إليها من القوّة والضّعف. وهم يتفاوتون

[1] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 176-178.
[2] د: جواد علي: المفصل (6)، ص: 180-181.

في القوّة فمنهم الجنّي وفوقه الشّيطان فالمارد فالعفريت، فالعبقري)[1]، (وقد ذكر الجاحظ أنّ الأعراب تجعل الخوافي والمستجنّات جنسين. يقولون جنّ وحنّ. وذكر غيره أنّ (الحنّ)، حيّ من الجنّ، كانوا قبل آدم، يقال منهم الكلاب السّود البهم، وذكر أنّ(الحنّ) خلق بين الجنّ والإنس. ويقال للجنّ (الجانّ)، و(الجنّة) كذلك. ويرى "نولدكه" أنّ فكرة (الجنّ) فكرة استوردها العرب من الخارج، بدليل قولهم أنّ الجنّة من عمل الجنّ، وهي في نظره عقيدة دخلت العرب من جيرانهم الشّماليّين)[2]. (وإذا سكن الجنّي مع النّاس، قالوا: عامر، وإن كان ممّا يعرض للصّبيان فهم أرواح، فإنّ خبث أحدهم، فهو"شيطان"، فإن زاد فهو "مارد"، فإن زاد في القوّة فهو"عفريت". فإن طهر الجنّي وصار خيرا كلّه فهو "ملك". لقد لعب الجنّ والإيمان به عند بعض الجاهليّين دورا فاق دور الآلهة في مخيّلتهم، فنسبوا إليها أعمالا لم ينسبوها إلى الأرباب، وتقرّبوا إليها لاسترضائها. وورد أنّ اللّه تزوّج الجنّ، وأنّ الملائكة هم بناته من هذا الزّواج. قال كبار قريش: الملائكة بنات اللّه. فقال لهم أبو بكر الصدّيق: فمن أمّهاتهم؟، قالوا: بنات سراة الجنّ. وتتألّف الجنّ من عشائر وقبائل، ومن الجنّ(بنو عزوان)، (بنو غزوان)[3]، (وقد تتقاتل طوائف من الجنّ، فيثير قتالها عواصف الغبار، ولذلك فسّر الجاهليّون حدوث العواصف والزّوابع بفعل الجنّ، وهم مثل البشر، فيهم الحضر، وفيهم المتنقّلة وهم أعراب الجنّ، وفيهم من يسير بالنّهار، وفيهم من يسير باللّيل (السّراة)، قال الشّاعر:

أتوا ناري فقلت منون قالوا سراة الجنّ، قلت: عمّوا ظلاما.

وللجنّ رؤساء وسادة وعظماء، (نذكر منهم: الشّنقناق والشّيصبان. وقد ذكر الأوّل في شعر (بشّار بن برد) وفي شعر (لأبي نجم)، وفي شعر (حسّان بن ثابت)، وغيرهما. وعقد الجاهليّون أحلافا مع الجنّ، ويذكر الرّواة أنّ ابن امرأة من الجنّ أراد الحجّ في الجاهليّة، فخافت عليه أمّه من سفهاء قريش، ولكنّه ألحّ عليها بأن تسمح له بالذّهاب، فلمّا أكمل الطّواف وصار ببعض دور بني سهم، عرض له شابّ منهم فقتله، فثارت غبرة شديدة بمكّة،

[1] د: محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها(2)، دار الفارابي، لبنان، 1994، ط: 1، ص: 8-9.
[2] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:706-708.
[3] د : جواد علي، المفصل (6)، ص: 709-711.

ومات من بني سهم خلق كثير قتلهم الجنّ انتقاما منهم لمقتل الجانّ، فنهضت بنو سهم وحلفائها ومواليها وعبيدها، فركبوا الجبال والشّعاب بالثنيّة، فما تركوا حيّة ولا عقربا ولا عضاية ولا خنفساء ولا شيئا من الهوام يدبّ على وجه الأرض إلّا قتلوه، حتّى ضجّت الجنّ، فصاح صائحهم من على أبي قبيس يطلب وساطة قريش بينهم وبين بني سهم الذّين قتلوا منهم أضعاف ما قتله الجنّ من بني سهم، فتوسّطت قريش، وأنهي النّزاع وتغلّب بنو سهم على الجنّ)[1].

– **جرير بن عبد اللّه البَجَلي وجنّي يعلّمه الدّواء:** تمثّل هذه الشخصيّة العلاقة الإيجابيّة بين الإنس والجنّ، (وما روي عن جرير بن عبد اللّه البجلي حداثة عهده بالإسلام زمن الوفادات على نبيّ اللّه، وقد أمسى وحده في واد فإذا هو بين جمع من الجنّ يستنشدونه الشّعر فينشدهم ويحدّثهم إلى الصّبح. وينتهي الخبر كما انتهى خبر أميّة بن أبي الصّلت، وسبق أن رأينا أنّه تعلّم منهم {بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ} فيعلّمونه {دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم}.

–**الجنّي عامر الوادي:** وقد يتميّز الجنّي بما يتميّز به العربيّ من الكرم وحسن الضّيافة، بل يذهب عامر الوادي إلى حدّ التدخّل لفائدة الرّاعي، وقد حكى بعض الرعّاة أنه نزل بواد بغنمه فسلب ذئب شاة من غنمه، فقام ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادي. فسمع صوتا يقول: يا سرحان ردّ عليه غنمه، فجاء الذّئب بالشّاة وتركها وذهب. ومن أعمالهم الطقوسيّة الأخرى التعشير وهو نهيق الحمار وكان ذلك من اعتقادهم أنّ الطاعون من طعن الجنّ، فكانوا متى توقعوا الإصابة منه إذا دخلوا قرية بها وباء وقفوا على بابها ونهقوا عشرا مثلما يفعل الحمار)[2]. (وقد يقع الحبّ بين الجنّ والإنس، فقد ذكر أن الجنيّة قد تتبع الرّجل الذي تحبه، ويقال لها: التّابعة، أي من الجنّ، كما يكون للمرأة تابع من الجنّ، يتبع المرأة التّي يحبّها. هذا(منظور) الجنّي، عشق امرأة اسمها(حبّة)، وتصادق معها، فكانت(حبّة) تتطبب بما يعلّمها (منظور))[3].

[1] د : جواد علي: المفصّل (6)، ص: 711-712.
[2] د: محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب(2)، ص: 45-46.
[3] د:جواد علي: المفصل (6)، ص: 714.

_ عالم الغول والسّعلاة:

أحد مكوّنات عالم الأرواح، (والغول في مجرى الاستعمال اللّغوي عند العرب (الدّاهية) ويقال: لقد غالته غول، ومنه غوائل الدّهر. وقد قال الشّاعر مستعيرا صورة الغول في وصف الحرب: (رجز):

والحرب غول أو كشبه الغول تزفّ بالرّايات و الطّبول.

والغول من أشهر الكائنات الخرافيّة الثّقافة الشّعبيّة. ويعرّفه الجاحظ بأنّه حقيقة نفسيّة، أمّا الغول فهو "اسم لكلّ شيء من الجنّ يعرض للسفّار ويتلوّن في ضروب الصّور والثّياب ذكرا كان أو أنثى. إلّا أنّ أكثر كلامهم على أنّه أنثى.

وقال "أبو المطراب " عبيد بن أيّوب العنبري: (الوافر)

وغولاً قفرةٍ ذَكَر وأنثى كأنّ عليهما قِطَعُ البِجادِ.

وقال "كعب بن زهير"في مدحيّته الشّهيرة للرّسول يصف تلوّنها: (البسيط):

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تَلوَّن في أثوابها الغول.

أمّا (السّعلاة) فيعرّفها بأنّها: الواحدة من نساء الجنّ إذا لم تتغوّل لتفتن السفّار)[1].

(ثمّ يذكر أنّها تستعمل نعتا للمرأة على وجه المجاز لا على معنى الحقيقة إذا كانت حديدة الطّرف والذّهن، سريعة الحركة ممشوقة القوام مستشهدا على ذلك بقول الأعشى: (خفيف):

ورجالٍ قتلى بجنْبي أريك ونساءٍ كأنّهنّ السّعالي.

وتستوي السّعلاة والغول عند معظم اللّغويّين إلّا أنّ عبيدا بن أيّوب العنبري قد فرّق بين الغول والسّعلاة إذ يقول: (طويل):

وساخِرَةٍ منّي ولو أنّ عينها رأت ما ألاقيه من الهول جُنّتِ.

أزلُّ وسعلاة وغول بقفرة إذا اللّيل وَارَى الجنَّ فيه أرَنّتِ.

وتتّسم الغول بأنّ عيناها مشقوقتان بالطّول ولها رجلا حمار وقد تتصوّر للسّابلة إذا توحّدوا في الفيافي والقفار في أحسن صورة فتضلّهم. وقد توقد لهم نارا باللّيل للعبث بهم

[1] د : محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب (2)، ص: 10-14.

ويسمّيها العرب نار الغيلان والسّعالي. فقد روي عن الخليل بن أحمد أنّ أعرابيّا أنشده في وصف الغول: (الطّويل):

وحافِزُ العِير في ساقِ خَدَلَجَةٍ وجَفَنُ عينٍ خِلافُ الإنسِ في الطّول)[1].

_ عالم الملائكة:

فكلمة "ملائكة" (من أصل عربيّ والمفرد منها "ملكٌ"، و لكن لعلّ الصّواب ما ذهب إليه الطّبري في تفسيره إيّاه واعتباره أنّ الملك الرّسالة كما في قول "عدي بن زيد":

أبلغ النّعمان عنّي مَلْأَكًا إنّه قد طال حبسي وانتظاري.

هي جمع تكسير للكلمة السّامية القديمة "ملْأَكٌ". فما يروى عن أنّ رجلا من عبد قيس مدح ملكًا فقال فيه:

فلسْتَ لإنسيّ و لكن لملأكٍ تنزَّلَ من جوِّ السَّماءِ يصوِّبُ.

كانوا يزعمون أنّ الملائكة بنات اللّه، فممّا يروى عن ابن عبّاس أنّ قريشا كانت تقول: سروات الجنّ بنات الرّحمان)[2].

ومن كلّ ما سبق يبدو أنّ كلمة "الجنّ" تدلّ من ناحية على جنس يقابل الإنس كما أنّها عبارة جامعة تشمل في آن واحد الملائكة و الشّياطين و الغول و السّعلاة من جهة أخرى.

ثالثا:غيب الظّواهر:

كما هو معروف (فشبه الجزيرة العربيّة معظمها صحراويّة ويسودها الجفاف هذا ما أثّر على سكّانها وجعلهم دائمي الارتحال طلبا للماء والكلأ، غير أنّ هناك فئة قليلة منهم حضريّة يسكنون بيوتا مستقرّة. هذه البيئة الجافّة، والحرارة جعلتهم دائمي البحث عن الغيث

[1] د : محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب (2)، ص: 14-15.
[2] د : محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب (2)، ص: 10-12.

والماء، لكن إذا طال بحثهم عن الماء، فإنّهم يقومون بطقوس يعتقدون بأنّها فعّالة في جلب المطر إليهم، فتساعدهم في تخطّي صعوبتها وتجاوز مجاهيلها والتّأقلم معها.

أ/_ المطر:

من الظّواهر التّي (نظر الجاهليّون الشّعراء خاصّة منهم إلى المطر المنثور بإكبار وتقديس، فرأوا فيه مادّة الحياة التّي خلق منها كلّ شيء، ورأوا فيه سرّا خفيّا، وقوّة عظمى قادرة على قهر الجدب والمحل، وبعث الخصب، والصّحراء العارية تستغيث به ليدفع عنها قحلها وعقمها. وقد أدّت فكرة الجدب وعقم الطّبيعة إلى تعظيم المطر، وإلى تطوّر "علم الأنواء"، لأنّ سلامة تقديرهم لمواقع سقوطه مسألة حياة أو موت)[1]. (وكانوا إذا أمسكت السّماء، وأرادوا الاستمطار، أصعدوا البقر في جبل وعر، وقد أضرموا النّار في السّلع والعشر المعقودين في أذنابها، وهم يتّبعون آثارها، يدعون اللّه ويستسقونه)[2].

ب/_ الرّيح:

من الظّواهر الطبيعيّة التّي (عني الشّعراء بتصويرها وتصوير هجير الصّحراء الذّي يميت أنفاس الرّياح، ويحيل الحياة إلى جماد وسكون، وعندما يسفح المسافرين سعير الصّحراء يكاد يشوي الوجوه، ويطبخ لحم النّوق. قال علقمة الفحل:

وقد علوتُ قُتُودَ الرَّحلِ يسفَعُنِي يوم تجيء به الجوزاء مسموم.

حام كأنّ أُوارَ النّار شاملُه دون الثّياب ورأس المرء معمومُ)[3].

ج/_ الشّمس:

بالإضافة إلى ظاهرة الرّيح نجد الكواكب (وقد كانت الشّمس والقمر أوّل الأجرام السّماويّة التّي لفتت أنظار البشر إليها، لما في الشّمس من أثر بارز في الزّرع والأرض وفي حياة الإنسان بصورة مطلقة، فكانت في مقدّمة الأجرام السّماويّة التّي ألّهها الإنسان، أي دون أن يتصوّر فيها ما يتصوّر من صفات ومن أمور غير محسوسة هي من وراء الطّبيعة، فلمّا

[1] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهلي، دار عمار، عمان، 1407ه-1987م، ط:1، ص:11-21.
[2] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 121.
[3] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهلي، ص: 26.

تقدّم وزادت مداركه في أمور ما وراء الطّبيعة تصوّر لها قوى غير مدركة، وروحا، وقدرة، وصفات من الصّفات التّي تطلق على الآلهة، فصارت مظهرا لقوّة روحيّة لا يمكن إدراكها، إنّما تدرك من أثرها في هذا الكون.

وإذا كانت هذه العبادة قد اقتصرت على الظّواهر الطّبيعيّة البارزة، فإنّ هناك توسّعا في هذه العبادة عند الأقوام البدائيّة، إذ يصل إلى حدّ تقديس الأحجار، والأشجار والآبار والمياه وأمثال ذلك)[1].

3/_طرائق استشراف الغيب:

أ/_ الاستبصار:

فقد كان لمدركي الغَيْب قبل الإسلام مكانة خاصّة لا تقلّ أهميّة عن رؤساء القبائل، ولهذا استعانوا بطرق ووسائل متنوّعة، زعما منهم أنّها وسيلة نافعة ومعينة في عمليّة إدراك الغيب والاستبصار به ولعلّ من أهمّ الطّرائق: التّنجيم، الفِراسة، القِيافة، (الطّرق والخطّ)، التطيّر، التكهّن والسّحر وكذلك أحلام الإنسان وباقي وسائلهم في معرفة الغيب.

_ الفِراسة:

تعريفها: هي الاستدلال بالخلق الظّاهر على الخلق الباطن، يقال: تفرّست وتوسّمت وتكون بجودة القريحة وحدّة الخاطر وصفاء الفكر و(تفرّست فيه الشّيء توسّمته)[2]. ويرى الزّمخشري أنّ الفِراسة: ("الحدس وحدس نفسه وحدس الشّيء حرزه، وهو نحو الرّجم بالظنّ")[3]، وقد نبّه اللّه تعالى على صدق الاستدلال بقوله: [تعرِفُهُم بِسيمَاهُم][4].

ومن أهمّ الطّرائق التّي اعتمدها العرب في الفِراسة:

1_ فِراسة البشر: وذلك من خلال الاستدلال بشكله ولونه، وأقواله وعلى أخلاقه وفضائله ورذائله، كالاستدلال بصغر الرّأس الخارج عن العادة بصغر العقل وكبره، ويسمّى بفِراسة

---

[1] د : جواد علي: المفصل (6)، ص: 22-23.
[2] ابن منظور: لسان العرب، ط:1، ج:6، دار صادر(بيروت)، ص:160.
[3] الزّمخشري : تح، محمّد باسل عيون السّود، ط:1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1419ه-1998م، ص: 116.
[4] القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية: 273.

الهيئة، ونجد كذلك فراسة الشَّعر فمثلا غزارة الشَّعر يدلّ على الشّراسة، وأخفّ شَعرا يدلّ على نوابغ الأذكياء وغيرها، ومثال ذلك ما تشمله هذه الأبيات:

(وفي خشونة وفي جهوده فهذه صفاته المحمودة.

وهو دليل العقل والذّكاء وجود التّفكير والآراء)[1].

ونجد كذلك فراسة الرّأس، وفراسة العين فالعين المتوسّطة في حجمها تدلّ على الفطنة وحسن الخلق فإذا اختلجت العين قال رأى من أَحَبَّهُ فإذا كان غائبا توقّع قدومه وإذا كان بعيدا توقّع قدومه، ومن بديع ما نظم عن العين:

(غوراء صغيرة متردّدة تخالها مثل عيون القرده.

دليلة الدّهاء ثمّ المكر وخبث نيّة وسوء الفكر)[2]

فضلا عن الاستدلال بأحوال العين هناك فراسة الأذن و فراسة القلب وغيرها. فهي تنقسم وتتفرّع إلى ما يعادل، إحدى عشرة قسما كما حدّدها أحمد بن مصطفى المعروف ببطاش كبرى زاده (ت 968هـ)، وهي كالآتي:(علم الشّامات والخيلان، علم الأسارير، علم الأكتاف، علم قِيَافة الأثر، علم قيافة البشر، علم الاهتداء بالبراري والأقفار، علم الرّيافة، علم استنباط المعادن، علم نزول الغيث، علم الاختلاج، علم الاستنباط ببعض الأحوال الحاليّة على الأحوال الآتية)[3].

2/_ القِيافة والعِيافة:

فحتّى الحيوان والأثر كان جزء لا يتجزّأ من وسائل إدراك الغيب فأطلق عليها اسم "القيافة" و"العيافة" في معناها:

الأوّل: (كراهيّة الطّعام والشّراب وعاف الرّجل الطّعام أو الشّراب يعافه عيافا أي يكرهه فلم يشربه)[4].

---

[1] الدراسة في علم الفراسة: (مجهول المؤلّف)، ص:54، ينظر، http :l

[2] المرجع نفسه: الدّراسة في علم الفراسة، ص: 64، ينظر.

[3] سفيحي فاطمة: القراسة في التّراث العربي في ضوء الدّرس السّيميائي المعاصر، مذكّرة لنيل درجة الماستر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010، ص:39-40.

[4] ابن منظور: لسان العرب، ج:19، دار الصّادر للطّباعة والنّشر، بيروت، 2005، ص:261.

الثّاني: (حَوَمَانُ الطّائر في السّماء، قال الأزهريّ: عاف الطّير على الماء وغيره يعيف عيفا إذا حام عليه)[1].

وقال ابن منظور: (عاف الطّير، إذا كانت تحوم على الماء وعلى الجيف تعيف عيفا)[2].

ومن هنا اشتقّ الجاهليّون مصطلح العِيافة الذّي يختصّ بالطّير وحركاتها، فقد كانت العرب قبل الإسلام تتنبّأ بحركات واتّجاهات الطّير والحيوانات، والتّفاؤل بأسمائها وأصواتها، فإن ذهبت إلى اليمين تيامنوا وقالوا مثلا: هذا سفر سعيد وسافروا، وإذا ذهبت إلى جهة الشّمال تشاءموا وقالوا: هذا سفر مشؤوم فلا يسافرون (والعكس صحيح عند الهذليّين نظرا لانغلاقهم على أنفسهم)، وقد أطلق العرب على اتجاهات الطّير بالسّوانح والبوارح، فكان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمرا نظر أو طائر يراه، فإن سنح عن يمينه مرّ على يساره قال: طير الأشائم فرجع وقال هذه حاجة مشؤومة، فإذا لم يرى عمد إلى الطّير الواقع على الشّجر، فحرّكه ليطير، فما أخذت ذات اليمين سمّوه "سَانِحًا" وما يتيامن سمّوه "بَارِحًا" (أخذ جهة الشّمال)، وما استقبلهم منهم سمّوه "النّاطح"، ومن جاء من خلفهم سمّوه "القعيد"، (لم تقتصر العيافة بالبوارح والسّوانح على الطّيور، وإنّما شملت الحيوانات الأخرى ومثال ذلك قصّة عبيد الرّاعي الذّي وقف ذات يوم مع ركب في فيفاء صحراء قفر وكانوا يريدون رئيسا من بني تميم إذا سنحت لهم الظّباء سنوحا منكرا، ثمّ اعترضت الرّكب الرّائح فقال:

ألم تدر ما قال الظّباء السّوانح عطفن أمام الرّكب والرّكب رائح

فكبر الذّي لم يعرف الزّجر منهم أيقن قلبي أنهنّ نوائح)[3].

وكذلك تشاءم العرب من الغراب ولعلّ السّبب يعود إلى لونه وعمله واسمه، ومثال ذلك: (عندما سمع "زهير بن سُلمى" نعيبه، ففقد الأمل بلقاء الأحبّة وعلم أنّ فراقهم أمر فقال:

---

[1] علي ابن اسماعيل النّحوي الأندلسيّ ابن سيّده: المخصّص، ج:2، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ط، ص:329.
[2] ابن منظور : لسان العرب، ص:291.
[3] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:819.

قعّد عمّا ترى، إذا فات مطلبه أمسى بذاك غراب البين قد نعقا)[1].

كما اشتهرت قبائل ب بالعيافة ومنها: (قبيلتين من العرب وهما قبيلتي: "لهب" و"أسد" وممّا ذكر عن شهرة بني أسد في العيافة أنّ النّاس والجنّ قدموا إليها للأخذ منها)[2]، ومن أشهر العرب عيافة: "اليمامة"، "الأبلق الأسدي"، و"حسل بن عامر بن عمير الهمذاني".

_القِيافة:

معناها: (القائف هو الذّي يقفو الأثر والجمع: القافّة، يقال: قِفْ أثره تبعه وأصل)[3] أمّا ابن الأثير فيعرّف القيافة: (القَائِفُ الذّي يتّبع الأثر ويعرفها ويعرف شبه الرّجل بأخيه وبأبيه)[4]، والقيافة على ضربين: قيافة الأثر: (فقد كان العرب يتّبعون الآثار من خلال دعسات الأقدام وعمقها وحجمها وطولها، فقد كانت العرب تميّز الأعمى والبصير والشّيخ والشّاب والرّجل والمرأة والبكر والشّيب، وما إن كان به مرض أو علّة في خلقته، والأعجب أنّهم كانوا يعرفون مقصدهم من أثر خطواته)[5]، فاستدلّ العرب قديما بأثر الحيوان لمعرفة مكان اتّجاهها عند تيهها في الصّحراء فيتقفّى أثرها من خلال دعسات الأقدام التّي تتركها على الرّمال، وبهذّا يعرف إلى أيّ اتّجاه سارت وحجم المسافة التّي قطعتها. كما عرف العرب الاستدلال بصفات الأعضاء (قيافة البشر).

3/_ التّنجيم والكِهانة و(الطّرق والخطّ):

فالتّنجيم يقوم على(البحث عن تأثيرات الوقائع الفلكيّة وحركات الأجرام السّماويّة على الأرض وسكّانها ويتكهّن بحوادث المستقبل)[6]، فالتّنجيم يستخدم وسائل التكهّن لإدراك الغيب، فهو يقدم على رصد الأجرام السّماويّة ومدى قربها، وبعدها، شكلها، موقعها، ومكان وزمان ظهورها. (وأطلق العرب على مدركي النّجوم بالمنجّم، في قوله: "لا تخرج من أجل

---

[1] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:822.
[2] محمود شكري الألوسي البغدادي: تحقيق: محمد بهجت الأثري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب(1)، طابع دار الكتاب المصري، ط:3، ص:313.
[3] سعد عبّود سمار: إدراك الغيب عند العرب قبل الإسلام، ص:252.
[4] ابن الأثير : النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحرير: طاهر أحمد الزّاوي، محمود محمد الطناحي، ج:4، المكتبة العلميّة، بيروت، 1979م، ص:121.
[5] د: جواد علي: المفصل(6)، ص:774.
[6] تنبّؤات النّبي دانيال، تحرير: بطرس آدمو، مطبعة أسعد، بغداد، د.ط، ص: 14.

كذا" و"اخرج لطلوع نجم كذا" فقد اعتمد المنجّمون على تأثير الكواكب على الإنسان في تفسيراتهم، بعالم الكواكب وحسب التّسديد والتّربيع والتّثليث والمقابلة وحسب هبوطها واستقامتها، واختلفوا في دلالتها على السعود والنّحوس، ويدلّ بعض أجرامها على الخير، وبعضها على الشرّ، فقد كانت الكهانة قبل الإسلام تنتفع من أحكام النّجوم، فالكاهن هو النّاظر في الأجرام الشفّافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها، والطّارق بالحصى والنّوى، وعلى العارف، والمنجّم والقاضي بالغيب، يذكر أهل الأخبار أنّ الكاهن هو وشيطانه، أنّه كان يسترق في الجاهليّ الأخبار من السّماء، فيلقي بها إلى الكاهن المختصّ به، فيخبر الكاهن من يأتي إليه للكهانة، والكهّان يرون تباعهم)[1]، فالكاهن يتنبّؤ بواسطة تابع والمنجّم يتكهّن بواسطة النّجوم والكواكب والشّمس، (فيكون في غيبوبة أو شبه غيبوبة ويكون التكهّن في الغالب في مكان هادىء وعاتم وظالم ويسبقه حرق البخور، إلى ما بعد انتهاء التنبّؤ، ومن أشهر الكهّان: شقّ وسطيح، وابن صيّاد، وعروة بن زيد الأزدي..وغيرهم)[2]، ومن أمثلة الكهانة في الجاهليّة رواية ابن الأثير عن أحد الكهنة يدعى: "شافع بن كليب"، الذّي تكهّن بظهور الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم، فيقول: (قدم على تبع الآخر ملك اليمن، قبل خروجه لقتال المدينة شافع بن كليب الصّدفي، وكان كاهنا، وقال له تابع: هل تجد بقوم ملكا يزيد عليه، قال: نجده لبارّ مبرور ورائد بالقهور، ووصف في الزّبور، فظلّت أمته في السّفور، يفرج الظّام بالثور، أحمد النبيّ، فإذا هو يجد صفة النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم)[3].

ويعدّ (الطّرق والخطّ) من أضرب التكهّن، فالطّرق ضرب من الحصى، يضرب لمن يتصرّف في أمر ولا يعلم مصالحه، فيخربه بمصلحة غيره من الخارج ويوجد ثلاث طرائق للطّرق منها: "الطّرق بالحصى": وتكون برمي الحصى، والثّانية: "يخلط القطن بالصّوف، والثّالثة": بخطوط الرّمل. وهناك ضرب من الخطّ إذ يخطّ "الحازي" ثلاثة خطوط ثمّ يضرب

[1] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:760-761.
[2] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:761.
[3] ابن الأثير : الكامل في التّاريخ، ص:471.

عليهنّ بالشّعير أو النّوى. وعلى علاقة الكهانة والتّنجيم: (قصّة قسّ بن ساعدة الإيادي عندما سأله قيصر: هل نظرت في النّجوم؟ قال: نعم نظرت فيما يراد فيها الهداية، ولم أنظر فيما يراد به الكهانة)[1].

4/_تفسير الأحلام:

فقد جعل الجاهليّون لكلّ حلم معنى وتأويل مستقبلي يرمز له، وقد صنّفت هذه الأحلام إلى قسمين: قسم لا يحتاج إلى التّأويل باعتبار دلالته المباشرة، وقسم يحتاج إليه التّأويل وهو باب من أبواب الكهانة للبشرة أو الإنذار، وقد وردت الرّؤيا والأحلام في القرآن الكريم، في وصف رؤيا فرعون مصر لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبِرُون(43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِين(44)][2]. ورجع بعض الكهّان المتخصّصون الأحلام المزعجة بأنّ سببها فعل الأرواح الشّريرة، أمّا الأحلام المريحة الطيّبة فقد جعلوها من إلهام الآلهة، ومن أمثلة تفسير الرّؤيا في العصر الجاهلي: (رؤيا مرثد بن كلال قال: رأيت أعاصير زوابع بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دخّان ساطع، يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيها أنت سامع دعاء ذي جرس صادع، هلمّوا إلى المشارع. قال الملك: "أجل هذه رؤياي، فما تأويلها يا عفيراء؟ الأعاصير الزّوابع: ملوك الأتابع، والنّهر: علم واسع، والدّاعي: نبيّ شافع، والجارع: وليّ له تابع، والكارع: عدوّ له منازع)[3]. وبالتّالي فقد إلتجؤوا إلى الكهنة في تعبير رؤاهم للتّحذير أو التّبشير.

ب/_ التّعامل مع الغيبيّات:

1/_ الاستمطار:

فقد كان من الضّروريّ أن يتوجّه الجاهليّ للعبادة والشّعائر نحو الآلهة المتحكّمة في المطر، نظرا لبيئته الصّحراويّة والجفاف في أكثر أنحاء الجزيرة العربيّة، ممّا دفعه للقيام بطقوس خاصّة لغرض الاستسقاء ومن أبرزها:

[1] سعد عبود السمار : إدراك الغيب قبل الإسلام، ص:249.
[2] القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية:43-44، ص: 239-240.
[3] محمود شكري الألوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب(3)، ص:784.

_نار الاستقساء: (يقول النويريّ: كانوا في الجاهليّة الأولى إذا اشتدّ الجذب واحتاجوا إلى المطر، يجمعون لها بقرا معلّقة في أذنابها وعراقيبها السّلع والعشر، ويصعدون بها إلى جبل وعر ويشعلون فيها النّيران قبل المغرب، ويضجّون بالدّعاء والتضرّع، وكانوا يرون في ذلك من أسباب نزول الغيث)[1]، (ووصف أميّة بن الصّلت هذا الطّقس في شعره:

سنة أزمة تخيّل بالنّا ... س ترى للعضاه فيها صريرا.

إذ يسفّون بالدّقيق وكانوا ... قبل لا يأكلون شيئا فطيرا.

ويسوقون باقرا يطرد السّه ... ل مهازيل خشية أن تبورا.

عاقدين النّيران في شكر الأذ ... ناب عمدا كيما تهيج البحورا.

فاشتوت كلّها فهاج عليهم ... ثمّ هاجت إلى صبير صبيرا.

فرآها الإله ترشم بالقط ... ر وأمسى جنابهم ممطورا.

فسقاها نشاصّه واكف الغي ... ث منه إذ راوعوها لكبيرا)[2].

فالنّار بالنّسبة إليهم إشارة إلى البرق، والبرق مجلبة للمطر، ويمثّل الدّخان تراكم السّحب.

_ سحر المطر:

عرف سحر المطر (بصانع المطر، وكثيرا ما توجد طبقة خاصّة من السّحرة، معنيّة باستجلاب المطر، فمهمّتهم التحكّم في الرّياح وبالتّالي التحكّم والسّيطرة في نزول المطر، ومثال بعض الطّقوس السحريّة لجلب المطر: يقومون بمحاكاة سقوطه برشّ الماء، وإذا أرادوا إحداث الجذب فإنّهم يتفادون الإقتراب من الماء ويعمدون إلى الدّفء والنّار)[3].

_اللّواذ بالكعبة:

ومن طقوس الاستمطار عند العرب اللّجوء إلى بيت اللّه الحرام لقدسيّته، يدعون الله أن يغيثهم، (فمن القصص التّي رواها وهب بن منبه، قصّة قوم عاد الذّين ابتلاهم اللّه بقحط ثلاث سنين فأجمعوا أمرهم على المسير إلى بيت اللّه الحرام يستسقون الغيث، فجهّزوا من

[1] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهلي، ص:93.
[2] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهليّ، ص:94.
[3] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهليّ، ص:79.

عظمائهم وأشرافهم سبعين رجلا، ومنهم لقمان بن عاد الذّي لاذ بالكعبة يدعو ويتضرّع فأرسل اللّه تعالى على قومه سحابة سوداء عُقِمت من الرّحمة، ولقّحت بالعذاب بريح صرصر عاتية)[1]. ومن الممارسات الأخرى عند الجاهليّين: غسل الثّياب، والاستسقاء بالرّضيع، والاستسقاء بالموتى، فالعرب الجاهليّون يعتقدون أنّ الموتى يمارسون حياة عاديّة في القبر يعطشون ويشربون وهي وسيلة لإرضاء الهامة والصّدى، ومثل ذلك قول الخنساء ترثي صخر:

(أسْقى بلادا ضُمِّنَت قبرَهُ صوبُ مرابيع الغيوث السَّوارْ.

وما سؤالي ذاك إلّا لكي يُسقاهُ هام بالرؤيّ في القفار)[2].

ومن الممارسات أيضا الدّعاء برفع اليدين إلى السّماء وطلب سقوط المطر أو الدّعوى بالسّقيا للحبيبة الغائبة ومثال ذلك قول أبو ذؤيب الهذلي في دعوى سقيا حبيبته أمّ عمرو:

(فذلك سُقيا أمّ عمرٍو وإنّني بما بذلت من سيبِها لبهيجُ)[3].

_الوقاية من السّحر:

السّحر من أهمّ الوسائل التّي لجأ إليها البشر وأقدمها في التّأثير على الأرواح كي تقوم بأداء ما يطلب منها، (فالسّاحر يدّعي أنّه يقوم بإشارات لتسخير الأرواح، وهم الجنّ والشّياطين فالسّاحر يداوي أعراضا عديدة، وما المرض في نظر القدماء إلّا أرواح شرّيرة حلّت في الأجساد أو جزء منها، وطرد تلك الأرواح من أعمال السّحر، فالسّاحر يقوم بمداواة المرض بواسطة السّحر بالنّفث على المريض أو في فمه، وبإمساك الرّأس أو جزء من المريض، لقراءة شيء عليه يضمن شفاءه، أو إعطائه حجبا وتمائم تشفي المريض أو بإعطائه خرزة(تميمة): وهي عوذة على هيأة قلادة من سيور تضمّ خرزا، وقد تكون من خرزة واحدة لتستعمل للصّبيان والنّساء، في الغالب لاتّقاء النّفس والعين فإذا كبر الطّفل انتزعت

[1] د : أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهليّ، ص:72.
[2] د: أنور أبو سويلم: المطر في الشّعر الجاهلي، ص:81.
[3] أبي سعيد السكّري : شعر أبي ذؤيب الهذلي، ص:132.

التّميمة منه)[1].لقد خصّص العرب لكلّ نوع من الخرز اسما معيّن، (فالتولة مثلا: هي الخرزة التّي تحبّب المرأة في زوجها، والعطفة: تجلب العطف لصاحبها، والسّلوانة: خرزة تسحق ويشرب ماؤها فيورث شاربه سلوة، ومثل خرزة النّياجب خرزة للتّأخيد، تفيد في رجوع الرّجل بعد الفرار..)[2].

_التحصّن من الجنّ:

فإذا استعاذ الإنسان في نظر الجاهليّين من الجنّ، (استجاب العظيم نداء المستعيذ فكان المسافرون إذا خافوا من طوارق اللّيل، عمدوا إلى واد ذي شجر، فنادوا رواحلهم و خطواتهم ونادوا: نعوذ بعظيم هذا الوادي، أو نعوذ بصاحب هذا الوادي، فيستجيب عندئذ عظيم الوادي لنداء المستعيذ، فلا يسمح لأحد أن يلحق به الأذى. وكما أنّ العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض، توسّطوا بلاد الحوش خافوا عين الجنان والسّعالي والغيلان والشّياطين فيقوم أحدهم برفع صوته: إنّا عائذون بسيّد هذا الوادي ! فلا يؤذيهم أحد)[3].

_ ذبائح الجنّ:

ولإرضاء الجنّ وتجنّب أذاها، (قام الجاهليّون بتقديم الذّبائح لها، فإذا أراد الإنسان السّكن في بيت جديد، أو استخراج الماء من بئر، وخاف وجود الجنّ فيها ذبح ذبيحة يرضي بها الجنّ)[4].

_ ضرب القِداح:

وهي رمي السّهام في الهواء ومراقبة حركاتها وكيفيّة سقوطها، ومنها (رمي حزمة السّهام أمام الصّنم، فالسّهم الأوّل الذّي يقع قبل الأزلام يكون هو السّهم الذّي أمر به الصّنم في اعتقادهم فيعمل بموجب ما كُتب على السّهم، إنّ الأزلام عند الجاهليّين سهام مكتوب

[1] د : جواد علي: المفصّل(6)، ص: 739-749.
[2] د : جواد علي: المفصّل(6)، ص:750.
[3] د : جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام(6)، ص:750-751.
[4] د : جواد علي: المفصل(6)، ص: 747.

عليها "أمرني ربّي"، وعلى بعضها "نهاني ربّي"، فإذا أراد الرّجل سفرا أو أمرا ضرب تلك القداح. فإذا خرج السّهم الذّي عليه نهاني ربّي لم يَمضِ في أمره، والأقداح الميسر)[1].

– وفي الأخير لقد أبدع العربيّ الجاهليّ في التطلّع واكتشاف الأمور الغيبيّة، وذلك إمّا لدافع شخصيّ يكمن في رغبته في إدراك ما سيكون عليه مستقبلهم الشّخصيّ، أو لدافع سياسيّ يخصّ قادة القبائل والمخاطر التّي تهدّد كيانهم والعدوّ الذّي يتربّص بهم،أو لمجرّد الإجابة عن ما يختلجه من إشكالات حول عالمه الواسع المجهول، وذلك من خلال التّواصل مع العالم الآخر(عالم الجنّ والسّعالي والشّياطين)، أو من خلال تتبّع مظاهر الطّبيعة (كالرّيح والشّمس وما يتوفّر في الصّحراء من أودية و آبار وطيور وحيوانات وغيرها)، وبالتّالي فالملاحظ أنّ وسائلهم في التنبّؤ بالغيب تتماشى مع طبيعتهم وعصرهم ونمط عيشهم يساعدهم في ذلك قوّة الملاحظة والتأمّل والرّصد، فللغيب مكانة هامّة في حياة العرب الجاهليّين سواء كان متعلّقا بشؤون حياتهم أو بآفاق مستقبلهم، وقد اختلفت طرق استشراف الغيب والتّعامل معه من قبيلة إلى أخرى.

–وهذا جدول يوضّح دور كلّ طقس من طقوس الغيبيّات:

طرائق التّعامل مع الغيبيّات	طقوس وممارسات التنبّؤ	دوره
الاستمطار.	1_ نار الاستسقاء. 2_ اللّواذ بالكعبة. 3_غسل الثّياب. 4_سقيا القبور. 5_الإستسقاء بالرّضيع. 6_ الدّعاء.	_ جلب المنفعة.
الوقاية من السّحر.	1_السّحر بالنّفث.	طرد المضارّ.

[1] د : جواد علي: المفصل(6)، ص:777-778.

	2_التّمائم والعوذ. 3_الخرز.	
التحصّن من الجنّ.	1_نداء المستعيذ. 2_ذبائح الجنّ.	طرد المضارّ.
ضرب القداح (الإستقسام بالأزلام).	رمي السهام مكتوب عليها "نعم" أو "لا".	جلب المنفعة وطرد المضارّ.

الفصل الثاني: الغيب في شعر أبي ذؤيب الهذلي.

1-التعريف بأبي ذؤيب

2-الرجم بالغيب والتطلع إليه في شعر أبي ذؤيب الهذلي.

3- الغيب مكونا شعريا.

يعدّ أبو ذؤيب الهذلي من أبرز الشّعراء الجاهليّين الذّي جسّد الطّقوس والممارسات التّي كان يستعين بها العرب قبل الإسلام في استطلاع الغيب خاصّة في أشعاره المبهرة !.

1_أبو ذؤيب الهذلي:

أ/_ حياتُهُ:

_ نَسَبُهُ: لم يتّفق الكثير من الأدباء حول نسب أبي ذؤيب يقول: (أخبرني أبو الخليفة قال: حدّثنا محمّد بن سلام قال: كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن، وقال ابن سلام: قال ابو عمرو بن العلاء: سئل حسّان بن ثابت: من أشعر النّاس؟ قال أحيّا أم رجلا؟ قالوا: حيّا قال أشعر النّاس حيّا هذيل، وما أشعر النّاس غير مدافع أبو ذؤيب)[1].

أمّا ابن قتيبة فيكتفي من نسب الشّاعر باسم أبيه فيقول: (هو خويلد بن خالد جاهليّ إسلاميّ)[2].

_ أخبارهُ: لم يذكر شيء عن طفولة أبو ذؤيب الهذلي، فلم يعرف شيء عن عائلته سوى ابن أخته "خالد بن زهير" الذّي كان تقريبا في نفس عمره فيقول:

(فإنّي على ما كنت تعلم بيننا وليدَيْن حتّى أنت أشمط عانسُ)[3].

كذلك قد ربطته علاقة ودّ بقريبه "نشيبة" الذّي رثاه في قصائد كثيرة، أمّا أبناؤه فلا نعرف منهم إلّا "ذؤيب" الذّي مات مع اخوته بسبب الطّاعون، ورثاهم أبو ذؤيب في هذا بعينيّته المشهورة التّي عبّر فيها عن حزنه وألمه بفقدان أبنائه الخمسة دفعة واحدة.

أشار المؤرّخون إلى أنّ أبا ذؤيب كان راوية ساعدة بن جؤبة، ولا نعلم مدى القرابة بين الاثنين، وقد كان خالد بن زهير أكثر الرّجال الذّين أحبهم أبو ذؤيب وذكره في شِعره، (فهو ابن أخت الشّاعر ورسوله إلى حبيبته أمّ عمرو، ولكن خالد خان هذه الصداقة، واتّخذ من أمّ عمرو حبيبة له، وأحسّ أبو ذؤيب بالخيانة وأنكر على خالد فعلته ظنّا أنّه سيتراجع، لكنّ

[1] ديوان ابي ذؤيب الهذلي: تحرير و شرح ، د أنطونيس بطرسّ ، دار الصادر، بيروت ، ط1، 1424ه ، 2003م ، ص: 8.
[2] ابن قتيبة، ابو محمّد عبد اللّه بن مسلم: الشّعر و الشُّعَراء، تحرير و شرح أحمد محمّد شاكر، القاهرة، دار المعارف، د.ط، 1922م، ص:253.
[3] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:217.

خالدا لم يفعل ذلك إنّما ذكّر أبا ذؤيب بفعلته السّابقة مع ابن عمّه بدر بن عويم وأنّه قد قلّده وبذلك أصمت أبا ذؤيب ولم يترك له مجالا للاستنكار، ويطوي أبو ذؤيب قصّة حبّه وكلّه خيبة في ابن أخته لكنّه لم يكن حاقدا ومنتقما، واستنكر على أمّ عمرو دعوتها له قال:

تُريدين كيْما تجمعيني وخالداً وهل يُجمع السّيفان ويحك في غمد.

أخالدُ ماراعيت من ذي قربة فتحفظني بالغَيْب أو بعض ما تُبد) [1] .

ويمضي الزّمن ويصاب خالد بمرض، ويقرّر أبو ذؤيب زيارته، يقول:

(ألا ليت شعري هل تنظر خالدُ عيادي على الهجران أم هو يائسُ.

فلو أنّني كنت السّليم لعدتني سريعا ولم تحبسك عنّي الكواديس) [2].

ـ إسلامه: اعتنق أبو ذؤيب الإسلام، وأحبّ الرّسول وأخلص، وذهب إلى المدينة حين علم أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم مرض، (وحضر لبيعة أبي بكر في السّقيفة، وقد رثى الرّسول بأبيات من الشّعر فيقول:

لمّا رأيت النّاس في عسلانهم من بين ملحودٍ له ومضرح.

متبادرين لشرجع بأكفّهم نص الرّقاب لفقد أبيض أروح.

فهناك صرتُ إلى الهموم ومن يبت جار الهموم يبيتُ غير مروح

كُسفت لمصرعه النّجوم وبدرها وتزعزعت عن آطام بطن الأبطح.

وتزحزحت أجيال يثرب كلّها ونخيلها لحلول خطبِ مفدحِ.

ولقد زجرتُ الطّير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح) [3].

ونجد في البيت الأخير نوع من استطلاع الغيب في العصر الجاهلي والمعروف عند أبي ذؤيب الهذلي خاصّة وهو "العِيَافة".

---

[1] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:219.
[2] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:217.
[3] السهيلي أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد اللّه: الرّوض الأنف في شرح السّيرة النبويّة لابن هشام، القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهريّة، 1391ه-1971م، ص:275.

وبعد وفاة رسول اللّه، انقطعت أخباره حتّى حلّ الطّاعون بمصر سنة 18 للهجرة، الذّي توفي فيه أبناؤه الخمسة، ويبدو أنّ أبا ذؤيب بعد فقده لأولاده زهد في الدّنيا وما فيها وقد اختلف في موته، (فيذكر الأصفهانيّ في موت أبي ذؤيب أنّه مات في طريق العودة من إفريقيا، وكان معه ابن أخيه وابنه:

أبا عبيد رفع الكتاب واقترب الموعد والحساب.

وعند رحلي جملُ نجاب أحمر في حاركه انصباب)[1].

فكانت تلك نهاية أبي ذؤيب بعيدا عن أهله وقبيلته، فإذا صحّت هذه القصّة فقد أضيفت إلى أبي ذؤيب لأنه ممّن عُرِف بممارسة العيافة وغيرها، ولكنّ الأبيات لم تذكر في ديوانه سواء الذّي عند االسكّري أو الأصمعي.

ب/_ شِعرُه:

أبو ذؤيب شاعر فحل مخضرم، يعدّ أنبه الشّعراء الهذليّين على الاطلاق، وذلك من خلال:

أوّلا: (جعل ابن سلام أبا ذؤيب في الطّبقة الثّالثة من الجاهليّين مع النّابغة الجعدي والشماخ بن ضرار، ولبيد بن ربيعة، بل أشاد به في قوله: "كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميز فيه ولا وهن")[2].

ثانيا: كان لشعر أبي ذؤيب حظّ وافر في كتب المعاجم، فقد ورد في لسان العرب خمسمائة وثلاثون بيتا، وورد في مواضع كثيرة من مصادر اللّغة العربيّة؛ لأهميّته التّوثيقيّة سواء في اللّغة أو في الأدب أو في التّاريخ. كما أنّ أبا ذؤيب (اشتهر بالوصف والغزل وخصوصا بالرّثاء من خلال عينيّته المشهورة التّي رثى فيها أبناءه الخمسة الذّين توفّوا بسبب الطّاعون)[3]، إلّا أنّ المتأمّل في شعره يجد فيه ذكرا لبعض الوسائل والطّقوس الغيبيّة التّي كان يستعين بها الجاهليّ في اكتشاف ما يخبؤه الحاضر والمستقبل، فشعر أبي ذؤيب رغم

[1] نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي حياته و شعره، ط1، ص:51.
[2] ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار القاهرة، ط:2، 1417ه-1992م، ص:82.
[3] محمد يوسف عبد العزيز غريب: اتّجاهات الشّعر عند الهذليّين في الجاهليّة والإسلام، دراسة موضوعيّة وفنيّة، جامعة اليرموك، 1433ه-2012م، ص:172.

ماديّته فإنّه يتّسم بأبعاد روحيّة غيبيّة، فشعره صورة لما يحسّه ويعتقده وما يعيشه ممارسات غيبيّة (الزّجر والعيافة والكهانة والتّنجيم وضرب القداح وغيرها) التّي كانت تمارس في الجاهليّة.

2/_ الرّجم بالغَيْب والتطلّع إليه في شِعر أبي ذؤيب الهذلي:

كما أشرنا سابقا في موضوعنا الممتع هذا، فإنّ أبا ذؤيب مرتبط بالغيب كثيرا في أشعاره، وكثيرا ما يستدلّ على غيوب الحياة بطرق معروفة في عصره كالعِيافة، والتّنجيم وغيرها..، لكنّه في مقابل ذلك فإنّه يستدلّ على الغيب بالماديّات الموجودة حوله، وبالتّالي فإنّه شاعر هذليّ ماديّ جدّا ومرتبط بالغيب كثيرا؛ إذ يهمّه كإنسان جاهليّ يعيش في الصّحراء ويحيا حياة تشبه الصّعلكة أن يعرف ما الذّي يخفيه عنه العالم ومن جهة أخرى لديه أسئلة وجوديّة كثيرة كان يتوجّب عليه بفطرته الإنسانيّة أن يجيب عنها –وهي ليست إجابات بيّنة– كالموت الذّي شكّل لكلّ إنسان عربيّ جاهليّ عامّة، وخاصّة بالنّسبة لأبي ذؤيب ظاهرة مقلقة و مفجعة، تستوجب الإجابة عنها بكلّ ما يملكه من مظاهر متعلّقة بالرّجم بالغيب، لأنّه ظاهرة غيبيّة لا يتحكّم فيها الإنسان ولا يملك لها وسيلة لمعرفتها، بالإضافة إلى العديد من القضايا والأسئلة الوجوديّة والغيبيّة التّي ليس لها حلّ سوى الاستدلال عليها بالماديّات أو القوى الخفيّة من العالم الثّاني: ومن أوجه الرّجم بالغيب واستشرافه عند أبي ذؤيب الهذلي:

أ/_ العِيافة:

عُرف أبو ذؤيب الهذلي، بكثرة ذكره لظاهرة العِيافة في شِعره، فلا نجد أبا ذؤيب أمام محطّة في حياته إلّا وذكر زجره للطّير فيها مثلا، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على عقليّة أبي ذؤيب المتّسمة بحبّ استطلاع الغيب من خلال العيافة، التّي تمثّل بالنّسبة له و لكثير من الجاهليّين طقسا مهمّا ومقدّسا في رحلاتهم وقضايا حياتهم، فنجد أبا ذؤيب الهذلي يذكر ذلك في شِعره إذ يقول:

(أبا الصّرْم من أسْمَاءَ حدَّثكَ الذّي جَرَى بيننا يوم استقلَّت رِكابها.

زجرْتُ لها طير الشّمال فإن تكُن هواكَ الذّي تَهْوى يُصِبك اجتِنابها)[1].

(حدّثك الذّي جرى: يعني ذهب وجاء، وهو ما سنح وبرح، أي أبا الصّرم حدّثك هذا السّانح؟. وبعض العرب تتشاءم بالسّنيح (كالهذليّين). وطير الشّمال: أراد طير الشّؤم، فإن تصب هواك الذّي تهوى: يعني الطّير التّي زجرها، يقال: فلان يهوى فلانة: أي يهواها، فأراد هاهنا نَفْسَها، يريد: إن صدق هذا الطّير السّنيحُ، سيصيبك اجتنابها، أي تجنّبها وتباعدها...يقال: (مرّ له طير الشّمال) إذا وقع في ما يكره)[2]، ومن كلّ هذا نجد أنّ أبا ذؤيب الهذلي ارتبط في حياته وما يواجهه من مشاعر وعواطف أو من قضايا وأحداث بامتلاكه لطقوس غيبيّة كالتطيّر الذّي لازمه في كثير من المواقف واستدلّ به على ما يمكن اجتنابه أكثر ممّا يمكن جلبه، ولم ترتبط العِيافة عند أبي ذؤيب بالإنسان فقط، بل تجاوزته إلى عالم الأرواح (الجنّ)، ممّا يرفع من قدسيّة هذه الممارسة الغيبيّة عنده فنجده يقول في احدى قصائده المشحونة بالعيافة والتّي تحكي قصّة في طيّاتها، فنجده يقول:

(فما إن وَجْدُ مُعْوِلة رِقُوبٍ بِواحِدِها إذا يَغزُو تُضيفُ*.

تُنَفِّضُ مهدَهُ وتذوذُ عنهُ وما تُغني التَّمائمُ والعُكوفُ.

تقولُ له كفيتُكَ كلّ شيءٍ أهمّكَ ما تخطّتني الحُتوفُ.

أُتيحَ لهُ من الفِتيانِ خِرقٌ من العِقبان خائِتةٌ دفُوفُ.

فقالَ لهُ وقد أَوْحت إليه ألاَ للّهِ أُمُّكَ ما تعيفُ.

فقالَ لهُ أرى طيراً ثِقالاً تُخبِّرُ بالغنيمة أو تخيفُ.

بِوادٍ لا أنيسَ به يبابٍ وأمْسِلةٍ مدافِعُها خَليفُ.

فأَلْفى القومَ قد شرِبُوا فَضمُّوا أمام القومِ منْطِقُهُم نسيفُ.

فلمْ يرَ غيْرَ عاديةٍ لزاماً كما يتفَجَّرُ الحوْضُ اللَّقِيفُ.

فراغَ وزوّدُوهُ ذاتَ فرْغٍ لَهاَ نفُذٌ كما قُدَّ النّصِيفُ.

---

[1] أبي سعيد الحَسَن بن الحُسين السُكّري: شرح أشعار الهذليّين، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د.ط، 1995، ص:42.

[2] أبي سعيد السكّري : شرح أشعار الهذليّين، الجزء الأوّل، ص: 42.

وغَادَرَ في رئيس القوْمِ أُخرى مُشَلْشِلَةً كما نَفَذَ الخَسيفُ.
فلمّا خَرَّ عند القومِ طَافُوا بهِ وَأَبَانَهُ منهم عريفُ.
فقال أما خَشِيتَ و للمَنَايَا مَصَارِعُ أنْ تُخرِّقَكَ السُّيوفُ.
وقالَ لقد خشيتُ و أنْبَأَتْنِي بهِ العِقبانُ لو أنِّي أعِيفُ.
فَقَال بِعَهْدِه في القوْمِ إنِّي شَفيتُ النَّفْسَ لو يُشْفَى اللَّهيفُ)[1].

فيبدأ أبو ذؤيب قصّته هذه بحبيبته التّي تأخّر في ميعاده عنها وهي تنتظره، و شبّه انتظارها له بانتظار امرأة رقوب لابنها الوحيد الذّي كفته كلّ شيء: بملازمته ومراقبته وتحصينه بالتّمائم والعوذ خوفا ودفعا للمخاطر والأمراض والأرواح الشّريرة عنه فهو وحيدها، ورغم ذلك فإنّه ذهب ولم يعد نتيجة لموته مقتولا مرورا بتطيّره وعيافته (من خلال رؤيته للطّير الثّقيل –ثقل الطيّر مؤوّل استعمله فترك التّأويل مفتوحا (إمّا بادراك غنيمة أو خوف من المجهول)– وللعقاب الكاسرة جناحيها) بالوادي الموحش الّذي يمكن أن تسكنه الجنّ والأرواح الشرّيرة التّي يمكن أن تضرّ المارّين بها كما هو معروف عند الجاهليّن، ونتيجة لالتحام كلّ هذه الممارسات الغيبيّة مع بعضها، فإنّ أبا ذؤيب انساق في روايتها ولم يعد إلى قصّة حبيبته التّي انتظرته، فقد استغرق عالم الغيبيّات النّص الشّعري كلّه من خلال التّأثيث الشّعري، ومن بين القصص التّي يمكن أن تتوافق –إن صحّت– مع هذه القصّة عند أبي ذؤيب الهذلي، ما ذكره الدّكتور جواد عليّ في كتابه المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (قصّة قبيلة بني أسد، الذّين يذكرون بالعِيافة ويوصفون بها، قيل عنهم أنّ قوما من الجنّ تذكّروا عيافتهم فأتوهم، فقالوا: ظلّت لنا ناقة، فلو أرسلتم معنا من يعيف، فقالوا لغليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم ثمّ ساروا، فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعرّ الغلام وبكى، فقالوا: مالك؟ فقال: كَسَرَت جناحا ورفعت جناحا، وحلفت باللّه صراحا، ما أنت بإنسيّ ولا تبغي لِفاحا، فقد اشتهرت(بنو أسد) بالعيافة وهم من أقرباء قبيلة هذيل، فقصدها النّاس

[1] أبي سَعيد السُكَّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:184-188.

للأخذ منها، حتّى الجنّ سمعت بعيافتها، وعجبت منها، فجاءت إليها تمتحنها في هذا العلم)[1].

ب/_ الأزلام والقداح:

كون أبي ذؤيب الهذلي إنسانا عربيّا جاهليّا، فقد شاع عنده ما شاع في عصره من طقوس يتنبّؤون بها حول ما ينتظرهم من خير أو شرّ، لكي يسجلبوا الخير ويدفعوا عنهم المضارّ والمكاره، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

(وكأنّهنّ رِبابةٌ وكأنّه يسرٌ يُفِيضُ على القداح ويصدعُ.

حيث شبّه الحُمُرَ في قصيدته هذه بالرِّبابة أي مجموعة من القداح التّي جُمِعت في جِلدة و"الفحل" كأنّه يسَرٌ يضرب بالقِداح فهو يفيضها ويصكُّها كما يصُكُّ اليَسَرُ القداح أي يرسلها ويدفعها)[2]، فكان توظيف اليسر والقداح في هذا البيت الشّعري كطقس جاهليّ شهِدَهُ أبو ذؤيب (وإن كان لم يمارسه فعليّا نتيجة لاعتماده على طقوسه الخاصّة به في معرفة الغيب كالعيافة من جهة، ومن جهة أخرى لغياب ذكر اللآلهة تعَبُّدًا لديه في أشعاره) فكان توظيفه هذا كتأثيث شِعْريّ لما يجده في ثقافته فقد استعمله كوسيلة للوصف وليس كوسيلة للممارسة عنده، ويقول أبو ذؤيب أيضا:

(فوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مَقْعَد رابيء ال ضُرَباء فَوْقَ النَّجْمِ لا يَتَتَلَّعُ.

فالرّابيء هو الذّي يقعد خلف ضارب القِداح، فإذا نَهَدَ قِدْح حفظه كي لا يُبْدَل، فيقول: هذا الحمار لا يفارق هذه الأُتن، العَيُّوق هو كوكب يطلع بحال الثريّاَ، ويطلع قبل الجوزاء، فهو فوقها، فشبّه مكان هذا العيّوق من الجوزاء بمقعد رابيء الضُّرباء)[3]، فهو تشبيه داخل الحال عند أبي ذؤيب لأجل تحديد الزّمن لكي يناسب جانبين: "جانب عملي يتمثّل في الوصول إلى الماء، وجانب غيبيّ يتمثّل في الزّمن وهو وسط اللّيل (فالأتن وردت الماء وهي

[1] د : جواد علي: المفصّل (6)، ص: 773.
[2] أبي سَعيد السُّكَّري: شرح أشعار الهذليّين، ص: 18.
[3] أبي سعيد السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص: 19.

مستقرّة لكنّ أعمال الغيب تحاك لها في السّماء في ذلك الوقت الأسطوريّ) والمعنى الذّي أراده الشّاعر "أنّ الإنسان يحسب نفسه آمنا ومستقرّا وهو بهذا في غفلة عمّا يُحاك له".

ويقول أبو ذؤيب أيضا:

(عُقارٌ كماء النِّيءِ ليست بِخَمطَةٍ و لا خِلّةٍ يكوي الشُّرُوبَ شِهابُهَا.

تَوَصَّلُ بالرُّكبان حيناً وتُؤَلِّفُ الجِوار ويُغشيها الأمَانَ رِبابُهَا.

أي أنّ الخمرَ إذا رأت رَكْبًا، وإنّما يريد أهْلَها، واللّفظ على الخمر، توصّلُ بهم من بلد إلى بلد. وتؤلّف بين الجيران، يحبّ بعضهم بعضا. وكانوا إذا أرادوا سفراً ضربوا بالقداح البيض والسّود، فإن خرجت البيضُ ساروا نهارا، وإن خرجت السُّود ساروا ليلا. و"الرّباب": القداح. فيكون الرِّباب أماناً) [1]، نظرا لقدسيّة الخمر وصعوبة الحصول عليها عند الهذليّين إلّا من خلال السّفر لجلبها فوصف أبو ذؤيب طقس العرب قبل السّفر المتمثّل في ضرب القداح البيض والسّود، ومن جهة أخرى فإنّ هذا الطّقس جعل الخمر مقدّسة في نظره لأنّ الحصول عليها صعب والرّكبان المسافرين يتآلفون ويتحابّون بين بعضهم، وبينهم وبين جيرانهم بسببها.

ويقول أبو ذؤيب أيضا في موضوع الأزلام والقداح:

(واعْصَوْصَبت بكرًا من حَرْجَفٍ ولها وَسْطَ الدِّيار رذِيَّاتٌ مرازِيحٌ.

أمّا أُلاتِ الذُّرَا منها فَعَاصِبةٌ تَجُولُ بين مَنَاقِيها الأقاديحُ.

في هذين البيتين صورة لمجموعة إبل مُلْقاةٌ، قد أُرْذِيتْ من الهزال ولا تستطيع أن تتحرّك، جُمِعت ليُضرب عليها بالقداح كطقس جاهليّ، فيُضرب على السِّمان منها بالقداح لتُنحر)[2]، واستعمل أبو ذؤيب هذه الصّورة في وصفه الغيبيّ للموت وعبثيّته.

ويقول أبو ذؤيب أيضا:

(بِكَفِّي رقاحِي يُحِبُّ نماءَهَا فيُبرِزُهَا للبيع فهيَ فَرِيجُ.

أجازَ إليها لُجَّةً بعد لُجَّةٍ أَزَلُّ كَغَرْنِيقِ الضُّحولِ عَمُوجُ.

[1] أبي سعيد السكّري: شرح أشعار الهذليّين: ص:45-46.
[2] أبي سعيد السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص: 123.

فجاءَ بها بَعْدَ الكَلالِ كأنّه من الأَيْن محراسٌ أقذُّ سَحِيجُ.

فالمحراس: القدح وهو السّهم، والأيْنُ: الفترة والإعياء، والأقذُّ المَريشُ، ويقال الذّي أُلزِقَت قُذَذُهُ ودُقِّقَت جدّا، وفي هذا تشبيه حيث شبّه أبو ذؤيب الغائِصَ لِلكَلالِ والضُرِّ والتّعب، بذلك القدح، ويروى "مِحْرَابٌ" وهو الذّي تُقلَّبُ به النّارُ. ويُروى "مِحْراثٌ")[1] وهذا لمجرّد التّأثيث الشّعري عند أبي ذؤيب الهذلي.

ج/ـ عالم الجنّ:

كون أبي ذؤيب الهذلي ابن بيئته، وشاعرا جاهليّا قبل أن يكون اسلاميّا، فقد شاع في ذلك العصر الإيمان بعالم الأرواح (من جنّ وغول وغيرها)، وكثرت القصص والحكايات حول هذه المواضيع الغيبيّة، وكثرت أيضا في أشعار الجاهليّين وخاصّة في شعر أبي ذؤيب الهذلي إذ يقول:

(بَدَرْتَ إلى أولاهُمُ فسبقتَهُم وشَايَحْتَ قبل اليوم إنّك شيحُ.

فإن تمسِ بِرهوةٍ ثاويا أنيسُكَ أصداء القبور تصيحُ)[2].

يصف أبو ذؤيب الهذلي حالة المرثيّ الذي يمسي برهوة (وهي عقبة بمكان معروف، بعد أن دافع عن القوم، فيسمع أصداء الهام التّي تطلب الانتقام والدّم، وليس له أنيس إلّا هي تصيح فوق القبور، فيقيم في مكان مهجور لا أحد به من الأنس، وبالتّالي أنيسه الأرواح (الجنّ) والهام التّي تسكن المكان)، وهذا أيضا تأثيث شعريّ للغيب استعمله أبو ذؤيب في رثائه للمرثيّ من خلال ذكر بطولاته وشجاعته وتحدّيه للمخاطر الغيبيّة التّي يهابها النّاس.

وفي موضع آخر حول موضوع الجنّ والأرواح التّي تسكن الأودية ما ذكرناه سابقا حول القصّة المكوّنة من التحام الغيبيّات في مجال العيافة، وفي مجال الجنّ يقول أبو ذؤيب الهذلي:

(بوادٍ لَا أنيسَ به ببابٍ وأمسِلَةٍ مدافِعُهَا خليفُ)[3].

---

[1] أبي سعيد السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:133-134.
[2] أبي سعيد السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص: 150.
[3] أبي سعيد السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:185.

وفي صدد الأمكنة الخالية والأودية والطّرق المجهولة في الصّحراء والتّي يمكن أن تتوفّر على الجنّ والأرواح في الاعتقاد الجاهليّ، قول أبي ذؤيب الهذلي:

(ومُتْلفٍ مثل فرْقِ الرَّأْسِ تخْلجه مطاربُ زُقُبٌ أَمْيَالُهَا فِيحُ)[1].

فقد شبّه أبو ذؤيب الهذلي الطّريق الضيّق ذو التّلف بفرق الرّأس، وسمّاها متلفا لأنّ النّتيجة المتوقّعة هي التّلف (الموت)، فتجذبه المطارب (الطّرق) هذه إلى هذه، حتّى لكأنّه يضيع في متاهة خالية لا يتبيّن ما الذّي تحتويه من السّراب (ميل الأرض) المجهول الذّي لا علم به، وهنا يقصد ما يعمر هذه الطّرق الخالية من الأرواح وخاصّة الجنّ الذّي يمكن أن يتعرّض للمسافرين في هذه الحالة.

د/_ التّمائم والعوذ:

فقد كانت العُوذ التّي يُرقى بها صاحب الآفّة كالحمّى والصّرع مشهورة في العصر الجاهليّ، (أمّا التّمائم فهي ما يعلّق على الأولاد والصّدور اتّقاء العين)[2]، وقد وظّف ذكرها أبو ذؤيب في شعره، إذ يقول:

(ولقد حرِصْتُ بأن أُدافعَ عنهم فإذا المنيّةُ أقْبَلَت لا تُدفعُ.

وإذا المنيّة أنشبَتْ أظفارها ألفيتَ كلّ تميمة لا تنفعُ)[3].

يعبّر أبو ذؤيب الهذلي في هذين البيتين عن ألمه وحسرته على موت أولاده، ويصف المنيّة (الموت) بأنّها إذا أقبلت على الإنسان كأنّها وحش له أظافر لا يغادر حتّى يفترس الفريسة مهما تحصّنت منه بالتّمائم التّي تُجابه الموت بواسطتها إلّا أنّها لا تنفعها أمامه في النّهاية.

وفي مجال أبسط لوصف الاستعاذة واللّجوء للتحصّن من الخطر، عوذة الثّور بالأرطى للاحتماء من ريح الشّمال الباردة المزعزعة، يقول أبو ذؤيب:

(ويَعوذُ بالأرطى إذا ما شفَّهُ قطرٌ وراحتُه بلِيلٌ زعْزَعُ)[4].

---

[1] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:125.
[2] مجهول المؤلّف: الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة، د.ط، ص: 292.
[3] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:8.
[4] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:26-27.

وفي نفس سياق العوذ والتّمائم، ماذكرناه سابقا في مجال العيافة حول القصّة المكوّنة من التحام الغيبيّات، وفي هذا المجال (التّمائم) يقول أبو ذؤيب:

تنفّضُ مهْدهُ وتذوذُ عنهُ وما تُغْنِي التَّمَائمُ والعُكوفُ)[1].

هـ/_ الكِهانة والتّنجيم (التّأثيث بالنّجوم):

شاع عند الجاهليّين كغيرهم من الأمم البدائيّة السِّحْر وكلّ ما تعلّق به (من كهانة وتنجيم و عوذ وتمائم وغيرها) ومن باقي الممارسات المتعلّقة باستطلاع الغيب، وقد ذكر أبو ذؤيب الهذلي ذلك في أشعاره، ففي موضوع التّنجيم يقول:

فوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مقْعَدَ رابِيءِ ال ضُّرَبَاءِ فَوقَ النَّجْم لا يتَتَلَّعُ.

وقد شرحنا هذا سابقا في موضوع الأزلام والقداح، إلّا أنّنا من جهة أخرى نلاحظ في هذا البيت تأثيثا للعالم الشّعري بالنّجوم (علم النّجوم).

ويذكر أبو ذؤيب موضوع التّنجيم مرّة أخرى في قوله:

(من وحْشِ حَوْضى يراعي الوَحشَ مُبْتَقِلًا كأنّهُ كَوْكَبٌ في الجوِّ مُنْحَدِرُ)[2].

فأبو ذؤيب لعيشه في بيئة خاصّة كان له معرفة بالنّجوم وحركاتها، فمن أجل ذلك استحضرها في قصائده، ولكنّها من أجل التّأثيث الشّعري (التّشبيه) وليس معرفة الغيب.

وفي نفس الصّدد يقول أبو ذؤيب:

(بِأطْيَبِ منها إذا ماالنُّجو مُ أعْنقنَ مِثل هوادي الصَّدْرِ)[3].

فأبو ذؤيب يذكر النّجوم في هذا البيت من أجل معرفة الزّمان، وهو أيضا تأثيث شعري من خلال المعرفة بالنّجوم.

أمّا فيما يخصّ التكهّن والكهانة، نجدها في قول أبي ذؤيب:

(يقُولونَ لِي لَو كان بالرَّمْلِ لم يمُتْ نُشَيْبَةُ والطُرَّاقُ يكذِبُ قِيلُها.

ولو أنّني اسْتودعْتُهُ الشَّمْسَ لارْتَقَتْ إليهِ المنايا عيْنُهَا ورسُولُها.

[1] السكّري: ص:184.
[2] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:60.
[3] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:116.

فالطرّاق: هم الذّين يضربون بالحصى ويتكهّنون، وقولهم بأنّ الميّت لو كان بمكان آخر مَرِيءٍ لم يمت)[1]، فأبو ذؤيب يكذّب الكهنة والطرّاق في تكهّنهم لموت الفقيد، ويخبرهم أنّه لو وضع في الشّمس لوافته المنيّة عينها.

و/_طلب السُّقيا (الاستمطار):

فعيش العرب الجاهليّين في بيئة صحراويّة قاحلة وفقيرة من الماء، جعلهم يلجؤون لطلبه عبر طقوس غيبيّة محدّدة، ذكرها أبو ذؤيب في شعره ولكن بطريقة "الدّعاء بالسّقيا للأموات أو للحبيبة الغائبة"، وربّما يمكن أن نرجع هذا الفعل لديه نسبة لبيئته الجبليّة التّي يعيش بها، فهي تختلف عن الصّحراء في الارتفاع والبرودة وأكثر توفّرا على المطر مقارنة بالصّحراء، وفي ذلك خصوصيّة لطبيعة الهذليّين ولطريقة طلب السُّقيا لديهم، وعند أبي ذؤيب خاصّة الذي يقول في هذا الصّدد:

(فذلِكَ سُقْيا أمِّ عَمْرٍو وإنَّنِي بما بذَلَتْ من سَيْبِهَا لبهيجُ)[2]

فهو يصف بهجته بحبيبته "أمّ عمرو" ويدعو لها بالسّقيا والمطر.

ويقول أبو ذؤيب الهذلي في بيت آخر:

(أمِنْكِ بَرْقٌ أَبيتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ كَأنّه في عِراضِ الشَّأْمِ مصباح.

فهو يصف من تبّلت قلبه (أصابته بنبل)، في حسنها كأنّها سُقِيَت وحَسُنت غذاءً، فينظرُ لنحو منزلها إلى لمعان البرق الذّي يتوقّد كالمصباح، والبرق لا يكون بدون سحاب، شبّه السّحاب بإبل دُهْمٍ قد اختلجت عنها أولادها، فهي تحانُّ، شبّه الرّعد بحنين الإبل)[3] وفي ذلك تشبيه للعالم السّفلي (الأرض التّي يعيش فيها أبو ذؤيب وتعيش فيها محبوبته) وحوادثها (الابل وحنينها، بما يقابلها في العلم العلوي (السّماء) من سحاب ورعد وبرق وغيرها، وهو تأثيث شعري بتخيّل عالم آخر علويّ غيبيّ.

[1] السكّري : شرح أشعار الهذليين، ص: 174.
[2] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص: 133.
[3] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص:167. (ينظر).

ي/_ الموت (عالم ما بعد الموت):

كما ذكرنا سابقا في الفصل النّظري، فقد اعتقد الجاهليّون الكثير حول الموت والرّوح، بتحوّل الرّوح إلى هامة تصيح فوق قبر صاحبها، يقول أبي ذؤيب الهذلي:

(فإن تمْسِ برهوةٍ ثاويًا أنيسُكَ أصداءُ القبورِ تصيحُ)[1]

فيقصد بأصداء القبور: صوت الهام على القبور وهي تصيح: "اسقوني....اسقوني"، فنلاحظ أنّ أبا ذؤيب كغيره من الجاهليّين يجعل عالم الموت متضمّنا في عالم الأحياء متمثّلا في صدى الهام المنادية بالثّأر لأنّها كانت أرواحا حيّة فيما مضى.

كما نجد الاعتقاد بأنّ للدّهر تأثيره على حياة النّاس وعلى موتهم، عند أبي ذؤيب الهذلي بكثرة في أشعاره إذ يقول:

(أمِنَ المَنُونِ وريبِها تتوَجَّعُ وَالدّهر ليس بِمُعْتِبٍ من يجزعُ)[2].

(والدّهر لا يبقى على حدَثَاته شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الكِلابُ مُرَوَّعُ)[3].

كما أنّ للدّهر أسامي أخرى سبق ذكرها في الفصل النّظري مثل: "الأيّام"، "اللّيل والنّهار"..الخ، ويذكر ذلك أبو ذؤيب في قوله:

(تاللّه يبقى على الأَيَّامِ مُبْتَقَلُ جوْنَ السَّراةِ رَبَاعٍ غردُ.

والمقصود أنّه أراد: واللّه لا يبقى على الأيّام (الدّهر) مبتقل: أي حمار يأكل البقل)[4].

هل الدَّهْرُ إلَّا ليلَةٌ ونهارُهَا وإلَّا طُلوعُ الشَّمْسِ ثمّ غِيَارُهَا.

والمعنى: أنّ الدّهر ليس إلّا ليلة تذهب، ويوم يجيء)[5] .

ويقول أبو ذؤيب الهذلي أيضا:

(لعَمْرُكَ والمنايا غَالِبَاتٌ لكلِّ بَنِي أَبٍ مِنهَا ذَنُوبُ.

[1] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:150.
[2] السكّري: شرح أشعار الهذليّين، ص: 4.
[3] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:26.
[4] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:56.
[5] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:70.

فالذَّنُوب: يقصد بها: النّفحة والنّصيب)[1]، فأبو ذؤيب بدأ بتأكيد نتيجة حتميّة الموت ويقينيّته، وهي تمثّل مُسلَّمة عند أبي ذؤيب واستسلام للموت ومواجهة المصير المحتوم.

3/_ الغَيْبُ مكوِّنًا شِعْرِيًّا:

جبل الشّاعر الجاهليّ عموما وأبو ذؤيب خصوصا على قول الشّعر، فهي فطرة جادت بها قريحته بكلام موزون ولغة جزلة، جميلة التّراكيب والأوصاف والصّور، وفي قدرة أبي ذؤيب على ابتكار صور حيّة من واقع المكان والبيئة اللذّان يعيش فيهما ومن وحيهما، هذه العوامل مجتمعة جعلته يبرع في وصف كلّ ما يشاهده في قبيلة هذيل، فنقل لنا طرق استشراف الغيب في العصر الجاهليّ، جاعلا منه ركنا أساسيّا في شعره، باعتبار الرّجم بالغيب واستطلاعه من مظاهر الاستقواء وطلب القوّة عند الجاهليّين، ونتيجة لإيمانهم بعنصر الغيب في حياتهم والبحث عن معرفته بكلّ الطّرق والوسائل المتاحة في عالمهم المادّي، فقد صوّر أبو ذؤيب كلّ ذلك في شعره وجميع المظاهر التّي سادت في محيطه وعصره، جاعلا بذلك الغيب عنصرا وركنا أساسيّا في شعره، عبّر بواسطته عن مظاهر الحياة الجاهليّة، ومن أبرز العلوم التّي ابتكرها العرب في عصره: القِيافة، العِيافة، التّنجيم..الخ، باعتبارها جزء من معرفة خبايا المستقبل لأنّ قصائد أبي ذؤيب تعبّر عن الذّات الجمعية الملتحمة بوعي الشّاعر ورؤيته، فجسّد لنا دور وأهميّة هذه الوسائل على مستوى العامّة: وتتمثّل في القبيلة، وعلى مستوى الخاصّة: وتتمثّل في الفرد عينه فأبو ذؤيب الذّي يستقوي بما لديه من طاقة فردية على الغيب لكن يبقى للغيب مكانته، فالغَيْب بقدر ماهو ظاهرة للاستقواء وجلب للمنافع ودفع للمضارّ، بقدر ماهو عنصر جماليّ وفنيّ وإبداعيّ في الشّعر، فيعطيه روحا جديدة، ويخرجه من الماديّة المعهودة في باقي الأشعار العربيّة في العصر الجاهليّ.

[1] السكّري : شرح أشعار الهذليّين، ص:104.

خاتمة

الحمد للّه الذّي أتمّ علينا نعمه، وولّى علينا مننه، وأعاننا على إتمام البحث، فالحمد للّه وحده والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده.

وفي نهاية البحث الذّي تعلّق بالغَيْب في شِعر أبي ذؤيب الهذلي، نخلص إلى جملة من النّتائج أهمّها:

- يتميّز أبو ذؤيب الهذلي بتعلّقه بالغيب ويظهر ذلك جليّا في شِعره.

-أبو ذؤيب ماديّ جدّا واستشرافه للغيب يتمّ بواسطة الماديّات المتوفّرة في بيئته وقبيلته.

- من خلال شِعر أبي ذؤيب الهذلي، نستنتج أنّ العرب قد برعوا في تخيّل القوى والعوالم كغيرهم من الأمم البدائيّة إلّا أنّهم ماديّون مقارنة بغيرهم الرّوحانيّين.

- يتّسم أبو ذؤيب الهذلي بممارسته للعِيافة وزجره للطّير، كما يعطي لهذه الممارسة الغيبيّة مجالا واسعا في أشعاره نظرا لتمكّنه منها، كما يعدّ عارفا بالنّجوم.

- كما أنّ لغرض الرّثاء القسم الأكبر في شعره من خلال عينيّته المشهورة في رثاء أبنائه، ورثاء ابن عمّه نشيبة.

- نجد في شِعر أبي ذؤيب تقديس وتأكيد على الغَيْب إذ يجعله السّلطة الأعلى، والمنحى الذّي تسير عليه كثير من قصائده، رابطا بذلك بين الحياة وحتميّة الموت والاستعداد للغيب.

- استعمل أبو ذؤيب الهذلي التّأثيث الشّعري للغَيب داخل شعره بكثرة.

- يتّسم شعر أبي ذؤيب الهذلي بخاصيّة الدّوران وهي: أن يبدأ بالنّتيجة ثمّ يسرد قصّة حولها (مستقبليّة)، ولكنّه يستذكرها كأنّها ماضٍ إلى أن ينتهي عند النّتيجة التّي كان قد بدأ بها وبذلك يكون قد قام بدورة كاملة بداية بالنّتيجة الحتميّة وانتهاءً بها.

- يعدّ شِعر أبي ذؤيب الهذلي وثيقة تاريخيّة حيّة تنقل لنا الطّقوس والاعتقادات والممارسات الغيبيّة التّي سادت في العصر الجاهليّ، وتنقل لنا فكر أبي ذؤيب الهذلي وثقافة عصره.

أخيرا فهذا جهد بشريّ قابل للنّقد والتّصويب والتّعديل، وهو جهد مقلّ.

فنسأل اللّه العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد.

قائمة المصادر
والمراجع

- **القرآن الكريم**

_المصادر:

1/_أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري: شرح أشعار الهذليين،ج1، تحقيق: عبد الستار أحمد الفراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة ،د.ط، 1955م.

_ المراجع:

1/_ ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، دار الصّادر بيروت، ط:1 ، 1402هـ.

2/_ ابن قتيبة أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم: الشّعر والشّعراء، تحرير وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1922م.

3/_ ابن منظور: لسان العرب، الجزء:19، دار الصادر للطّباعة والنّشر، بيروت، 2005م.

4/_ الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة.

5/_الدّراسة في علم الفراسة: http// www. 4shared. Com

6/_ السّهيلي أبو القاسم عبد الرّحمان بن عبد اللّه: الرّوض الأنف في شرح السّيرة النبويّة لابن هشام، القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهريّة، 1391هـ-1971م.

7/_ المعجم الوسيط .

8/_ د: أنور أبو سويلم:المطر في الشّعر الجاهلي، دار عمار، عمان، ط:1، 1407هـ-1987م.

9/_ تنبّؤات النبيّ دانيال، تحرير بطرس أدمو، مطبعة أسعد، بغداد، د.ط.

10/_ د: جواد عليّ: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (6)، جامعة بغداد، ط:2، 1413هـ-1993م.

11/_ أ.م. د. سعد عبّود سمار: ادراك الغيب عند العرب قبل الإسلام، مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة، العدد (11)، جامعة واسط كليّة التّربية.

12/_ سفيحي فاطمة: الفراسة في التّراث العربيّ في ضوء الدّرس السّيميائي المعاصر، مذكّرة لنيل درجة الماستر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010م.

13_ د: عدنان مصطفى خطاطبة: المعرفة الغيبيّة في الإسلام ووظائفها التّربويّة، المجلّد 4، العدد 3، 1439هـ-2008م.

14/_ علي ابن إسماعيل النحويّ الأندلسيّ ابن سيّده: المخصّص، الجزء الثّاني، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، د.ط.

15/_ د: كارم محمود عزيز: أساطير العالم القديم، مكتبة النّافذة، الجيزة، ط:1.

16/_ د: محمّد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها (2)، دار الفارابي، لبنان، ط:1، 1994م.

17/_ محمود شكري الآلوسي البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (1)، الجزء: 1، المكتبة الأهليّة، مصر، ط:2.

18/_ محمد يوسف عبد العزيزغريب: اتّجاهات الشّعر عند الهذليّين في الجاهليّ والإسلام، دراسة موضوعيّة وفنيّة، جامعة اليرموك، 1433هـ-2012م.

19/_ موسوعة التّفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

20/_ نورة الشّملان: أبو ذؤيب الهذليّ حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرّياض، ط:1، 1400هـ-1980م.

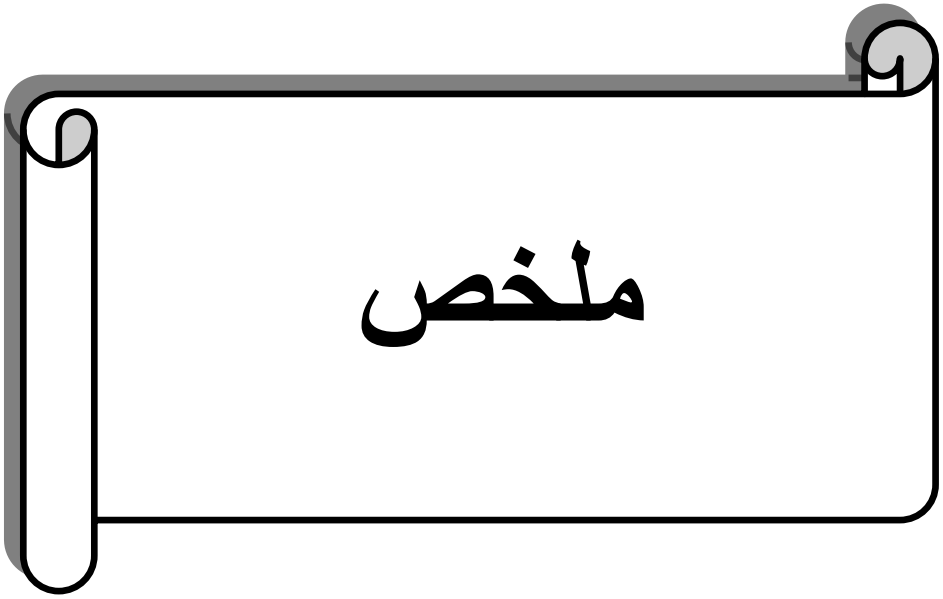
ملخص

ملخص:

يعالج موضوع البحث الغَيْب المتجسّد في شِعر "أبي ذؤيب الهذلي"، يتحدّث هذا الموضوع عن توظيف عنصر الغيب عند الشّاعر الجاهليّ، وكيف يتعامل ويتفاعل معه، وعن إبراز الخلفيّة الروحيّة خاصّة عند أبي ذؤيب الهذلي، الذّي يعدّ من أفضل الشّعراء الجاهليّن المصوّرين لكلّ مظاهر الحياة الماديّة والطقوسيّة الغيبيّة والتّي نقلوها بصدق وانفعال كبيرين.

الكلمات المفتاحيّة: الغَيْب، أبو ذؤيب الهذلي، شِعر أبي ذؤيب الهذلي.

Summary:

The topic of the research deals with the unseen embodied in the poetry of "Abu Dhaib al-Hudhali". This topic talks about the employment of the unseen element of the pre-Islamic poet, and how he deals with and interacts with it, and about highlighting the spiritual background, especially in Abu Dhu'ayb al-Hudhali, who is considered one of the best pre-Islamic poets, the manifestations of all materialistic life. And the occult ritualism, which they conveyed with great sincerity and emotion.

Keywords: Al-Ghayb, Abu Dhu'ayb Al-Hudhali, poetry of Abu Dhu'ayb Al-Hudhali.

فهرس المحتويات

بسملة	
مقدمة.....	أ
تمهيد.....	د
الفصل الأول: الغيب واستشرافه عند العرب في الجاهلية	
1-تعريف الغيب.....	10
2-أنواع الغيب.....	11
أولا: الغيب المادي.....	12
ثانيا: الغيب المعنوي.....	16
ثالثا:غيب الظواهر.....	27
3-طرائق استشراف الغيب.....	29
أ-الإستبصار.....	29
ب-التعامل مع الغيبيات.....	34
الفصل الثاني: الغيب في شعر أبي ذؤيب الهذلي	
1-التعريف بأبي ذؤيب الهذلي.....	41
2-الرجم بالغيب والتطلع إليه في شعر أبي ذؤيب الهذلي.....	44
3-الغيب مكونا شعريا	54
خاتمة.....	56
قائمة المصادر والمراجع.....	59
ملخص	
فهرس المحتويات	